تنوير الأفهام

في جهد خير الأنام

من كلام الإمام العلامة

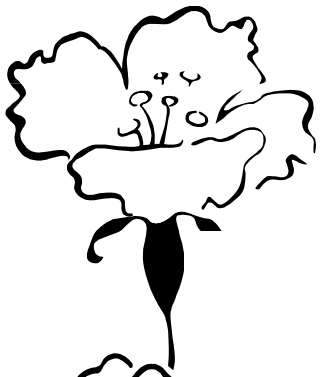
الشيخ سعد هارون

حفيد الشيخ إلياس الكاندهلوي

مجدد الدعوة في بدايات القرن العشرين

بقلم

محمد على محمد إمام



دار الكتب والوثائق المصرية

==========

تنوير الأفهام

في جهد خير الأنام

من كلام الإمام العالم الشيخ سعد هارون الكاندهلوي

حفيد الشيخ إلياس الكاندهلوي مجدد الدعوة في بدايات القرن العشرين

بقلم/ محمد على محمد إمام

كفر ميت العز _ ميت غمر _ دقهلية

==========

رقم الإيداع: ٨٦٦٣

تاريخ الإيداع: ٢٠١٨/٤/١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

ـ أهدي كتابي تنوير الأفهام في جهد خير الأنام (ﷺ):

- إلى مشايخنا وعلمائنا في مصر وجميع بلدان العالم جزاهم الله عنا كل خير.
- إلى كل الخارجين في سبيل الله على وجه المعمورة.
- إلى كل الدعاة إلى الله من خطباء ووعاظ ومعلمين.
- إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.
- إلى الآباء والأمهات المهتمين بإحياء الدين ونشره في العالم كله.
- إلى الشباب المسلم الحريص على نشر دينه، وإحياء سنة نبيه.
- إلى كل من يحب الله ورسوله.
- إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وآخرته.
- إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.
- إلى كل طالبي الحق. (المؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

حمدا لله تعالى أن جعلنا من (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (١) ، وبعث لنا سيد الأنبياء:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا ﴾(٢).

فما دمنا على جهد حبيبنا فنحنُ معه إن شاء الله تعالى.

إخواني وأحبابي في الله : الله تبارك وتعالى لا يحب لأي فرد من هذه الأمة التبتُّل والانقطاع، والعُزلة عن المجتمع، وحبّ الخُلوة عن الناس ـ ولو لذكر الله ـ ؛ فليست مما يحتِّمه الإسلام ويدعو إليه.. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٍ فَأَعْجَبَتْهُ لِطِيبِهَا فَقَالَ لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ:" لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ اغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ " قال أبو عيسى هذا حديث حسنٌ (٣)

---

١) سورة آل عمران ـ الآية ١١٠.

٢) سورة الفتح ـ الآية ٢٩.

٣) سنن الترمذي» كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله [ﷺ]» باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله(١٦٥٠)، السنن الكبرى للبيهقي» كتاب السير» جماع أبواب السير»=

والإسلام نشاط دائم وجهاد طويل؛ لذلك تراه يحثّ المسلمين علَى أن يكونوا دائمًا في عمل وسعي ونشاط؛ وذلك ينافي السكون الدائم والانصراف عن الحركة والعمل: ﴿ وَأَن لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى﴾(١)، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رهينة﴾(٢). فالعُزْلَة عن الناس ليست من الإسلام؛ بل من الإسلام: الإقدام في معترك الحياة، واقتحام حَلَبة الحركة والزحام؛ لنشر دعوة الحق والخير وإصلاح البشر.

فعلينا التأسي برسول الله [ﷺ]، وصحابته، قال تعالى: [فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا] (٣)؛ فإذا عملتُم كما عملوا، وجاهدتُم كما جاهدوا، وثابرتُم علَى إقامة الحق كما ثابروا؛ كنتُم مسلمين حقا كما كانوا، وكتب الله لكم مِثل الَّذي كَتب لهم من الفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة.

كان (ﷺ) في جهاد عظيم وكفاح مستمر، وما بَرِح طول حياته الشريفة مختلطًا بالناس، متحدِّثًا إلَى أصحابه، يجالسهم ويساكنهم، ويواكلهم ويشاربهم، ويلقاهم بوجه طَلق، وقلب نقي سليم متعلّق بالله وبما يرضي به الله، وقد تراه راكعًا ساجدًا لله، كما قد تراه ساعيًا يبتغي الفَضْل من الله(٤).

= باب في فضل الجهاد في سبيل الله(١٧٩٣٧)، المستدرك على الصحيحين» كتاب الجهاد» يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه(٢٤٢٩)، مسند أحمد» باقي مسند المكثرين» مسند أبي هريرة رضي الله عنه(١٠٤٠٧).

١) سورة النجم _ الآية ٣٩.

٢) سورة المدثر _ الآية ٣٨.

٣) سورة البقرة _ الآية ١٣٧.

٤) الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي.

فما رضي الله عز وجل لبشر من بعده (ﷺ) حياة إلا مثل حياته، وما قبل الله من قوم عمل إلا مطابقا لعمله، فَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهَّ عَنْهَا -، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللهَّ (ﷺ): " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ "(١) ؛ وفي رواية لمسلم: " مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ".

فالله لا يرضى منا إلا بحياة مثل حياته، ولا دعوة إلا مثل دعوته، ولذا المشايخ دائما يركزون على: (**جهد الرسول على نهج الرسول**)، وهذا ما بينه ربنا في سورة يوسف: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهَّ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهَّ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢).

وقال العلامة السيد سليمان الندوي (رحمه الله): معلقا على هذه الآية الكريمة:{ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }(٣). فقال: إن هذه الواجبات، وهي: الدعوة إلى الله تعالى بواسطة تلاوة آياته، والتزكية، وتعليم الكتاب والحكمة، وهي واجبات النبوة التي طولب الرسول (ﷺ) القيام بها، والثابت من نصوص القرآن والسُنة الصحيحة أن أمة خاتم النبيين (ﷺ) مبعوثة إلى العالم كافة اتباعا لنبيها ونيابة

---

١) رَوَاهُ البُخَارِيَّ [رقم: ٢٦٩٧]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ١٧١٨].
٢) سورة يوسف _ الآية ١١٠.
٣) سورة آل عمران _ الآية ١٦٤.

عنه صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }(١). فالأمة المسلمة تنوب عن نبيها في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ما كلف به النبي (ﷺ) من واجبات النبوة، من الدعوة إلى الله تعالى، بتلاوة الآيات والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة، فإن هذه الأمة مكلفة أيضا بهذه الأعمال.

ولذلك فقد ربى النبي (ﷺ) أمته على التضحية بالمال والنفس في الدعوة إلى الله تعالى والتعليم والتعلم والذكر والعبادة، وقُدْمت هذه الأعمال على الأشغال الدنيوية، ووجب التمرن عليها في كل حال، مع الاستعانة على ذلك بالصبر على ما يواجه الإنسان من الصعوبات والشدائد، وأُقيمت الأمة على بذل المال والنفس من أجل نفع الآخرين، وهكذا تكونت أرقى طبقة من هذه الأمة مطبوعة بطابع الأنبياء عليهم السلام، متصفة بالمجاهدة والتضحية والإيثار امتثالا لقوله تعالى:{ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ

١) سورة آل عمران _ الآية ١١٠.

النَّصِيرُ }(١).

والقرن الذي قامت فيه الأمة مجتمعة بتلك الأعمال كلها من الدعوة إلى الله تعالى والتعليم والتعلم والذكر والعبادة شُهد له بأنه خير القرون..فَعَنْ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِه قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ "(٢).

وظل العلماء الربانيون قرنا بعد قرن يُحيُونَ ، تلك الأعمال النبوية، ويبذلون قصارى جهودهم فأضاءت بمجاهدتهم حظيرة الإسلام قاطبة.

وقد وفق الله سبحانه وتعالى الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) في هذا العصر لذلك، فقد امتلأ قلبه هما وغما وفكرا وألما للأمة، وحرقة وحزنا لابتعاد الأمة عن دينها، فبلغ رحمه الله درجة انفرد بها في نظر علماء عصره، وكان رحمه تعالى كثير القلق من أجل إحياء جميع ما جاء به النبي من عند ربه في العالم كله.

ومن هذا المنطق كان داعيا ومؤكدا أن الجهد لإحياء الدين لا يكون مقبولا عند الله تعالى ومؤثراً في الناس إلا إذا أُقيم منهج النبي(ﷺ) في الجهد.

فلذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله تعالى في علمهم وعملهم وفكرهم

---

١) سورة الحج _ الآية ٧٨.

٢) صحيح البخاري» كتاب فضائل الصحابة» رقم الحديث (٣٤٥٠).

ونظرتهم وطريقة دعوتهم ومزاجهم وحالهم موافقين لما كان عليه النبي ﷺ ، حيثُ تكون صحة إيمانهم وصلاح أعمالهم الظاهرة إلى جانب الأحوال الروحية الباطنية على منهاج النبوة في كيفية حب الله تعالى وخشيته والتعلق به، وليكن اهتمامهم باتباع السنن النبوية في الأخلاق والعادات والشمائل، فيكون الحب لله والبغض لله، والرأفة والرحمة بالمسلمين والشفقة على الخلق دافعا لهم على الدعوة، ووفقا للأصل الذي كرره الأنبياء عليهم السلام جميعا، وهو أنهم لا يقصدون بدعوتهم سوى الأجر من الله تعالى، وأن حرصهم على إرضاء الله تعالى من وراء إحياء الدين، فيثمر ذلك الشوق إلى بذل المال والنفس رخيصا في سبيل الله تعالى، دون أن يصدهم عن هذا السبيل حبُ الجاه والمنصب ، والمال والسلطة والسيطرة والشهرة، والسمعة والرياء، والراحة الذاتية والرفاهية، فيكون مقصود قيامهم وقعودهم ومشيهم وكلامهم، وكل حركة وسكون في حياتهم موجها إلى تحقيق هذه الغاية النبيلة(١).

وفي هذه الصفحات التي بين أيدينا والتي جمعت فيها كلام الإمام العلامة الشيخ سعد بن هارون بن محمد يوسف بن محمد إلياس الكاندهلوي سليل الأسرة الصديقية بالهند(٢)، والتي بين فيها الأصول والآداب الدعوية التي

---

١) من كتاب الأحاديث المنتخبة تحت عنوان ((بين يدي الكتاب)) للشيخ سعد هارون.

٢) وينتمي نسبه إلى أسرة كريمة، هي أسرة " صديقية (نسبة إلى سيدنا أبي بكر الصديق)، وقد اشتهرت في شبه القارة الهندية الباكستانية، بما قدمته من خدمات جليلة في شتى ميادين العلم والدعوة والتربية والزهد والتقوى، والتضحية في سبيل الدين، وهي أسرة = =تماثل أسرة الشاه ولى الله الدهلوى(من كتاب الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه للشيخ عبد الخالق بيرزاده).

يجب أن يلتزم بها كل داعي إلى الله يريد رضا الله عز وجل، فلا ثمرة للدعوة بدون نهجه صلى الله عليه وسلم.

فهو من بيت تحمل مسئولية نشر الإسلام من أول يوم حيثُ أن جده الصديق أول من آمن من الرجال وآزر النبي وسانده من أول يوم، ففي دلائل النبوة للبيهقي: عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الْحُصَيْنِ التَّمِيمِيُّ، أَنّ رَسُولَ اللهَّ [ﷺ] قَالَ: " مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الإِسْلامِ إِلا كَانَتْ عَنْهُ كَبْوَةٌ وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرٌ إِلا أَبَا بَكْرٍ مَا عَتَّمَ مِنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ "(١).

وكان ملازما لرسول الله [ﷺ] منذ بعثته إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، ففي صحيح البخاري: عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ وُضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَأَنَا فِيهِمْ فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَّ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ وَايْمُ اللهَّ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهَّ مَعَ صَاحِبَيْكَ وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ "(٢).

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي» المَدْخل إِلى دَلائِلِ النبُوَّةِ وَمَعْرِفَةِ ... » حَدِيث هِنْدِ بْنِ أَبِي هَالَةَ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ... » بَابُ: مَنْ تَفَقَهَ وَأَسْلَمَ مِنَ الصَّحَابَةِ ...رقم الحديث: ٤٩٦.

(٢) صحيح البخاري» كتاب فضائل الصحابة» باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه(٣٤٨٢).

ومآثره في التضحية والترك ونشر الدين والدعوة ومؤازرة الرسول لا تعد ولا تحصى وليس هنا المجال لعد هذه المآثر.

فالله تبارك وتعالى لا يضيع أهله، كما جاء في صحيح البخاري: أن هاجر عندما تركها إبراهيم (عليه السلام) في مكة وذهب للشام:"..... فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللهِ يَبْنِيه هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ "(١).

فالله لم يضيع ولد الصديق في آخر الزمان بل أخرج من ذريته من يحمل همَّ نشر الدين ويتحمل المسئولية ويُقيم الأمة على جهد الرسول بمنهاج الرسول، كما كانت الأمة تتحرك في الزمن الأول في بعوث دعوية لنشر الدين، فكان دائما كما سمعنا وقرأنا أن الشيخ إلياس(رحمه الله) جد الشيخ سعد هارون، الذي وفقه الله تعالى لإحياء جهد النبوة في بعوث دعوية، كان يذكر قول الإمام مالك (رحمه الله): وَلَا يُصْلِحُ آخرَ هذه الأمة إلا ما أَصْلَحَ أَوَّلَهَا (٢).

---

(١) جزء من حديث طويل في صحيح البخاري» كتاب أحاديث الأنبياء» باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا (٣١٨٤).

(٢) وردت في كتاب «المبسوط»، للقاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي المالكي (ت ٢٨٢ هـ)؛ قال القاضي عياض في « الشفا بتعريف حقوق المصطفى « صلى الله عليه وسلم » (٢/ ٨٨): « وَقال مَالِكٌ فِي الْمَبْسُوطِ : وَلَيْسَ يَلْزَمُ مَنْ دَخل الْمَسْجِدَ وَخَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ المَدِينةِ الْوُقُوفُ بِالقَبْرِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ للغرَبَاءِ.

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا: لَا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سَفَرٍ أَنْ يَقِف عَلى قبْرِ النبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَيَدْعُوَ لَهُ ولأبي بكر وعمر.=

فأقام الأمة على المسئولية، فجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير ما جزى به عباده الصالحين.

والذي يمعن النظر في زمن الخلفاء الراشدين، وفي زماننا هذا يجد مشابهة كبيرة، ففي زمن الصديق كان الارتداد بعد وفاة النبي (ﷺ)، وفي الزمن الذي قام به الشيخ إلياس بهذه الدعوة المباركة، كان التحلل من الدين وبعد الناس عن أوامر الله تعالى وانحراف في العقيدة، حتى كاد الناس في الهند لا يستطيعون النطق بكلمة التوحيد.

وها أنا اليوم أتحف المسلمين والأمة الإسلامية بكلام الشيخ سعد هارون الذي تربى وترعرع في هذا البيت المبارك ونهل منه منهل الدعوة إلى الله وتشرب أصولها.

ففي كل كلامه يتكلم عن آداب وأصول هذا العمل وهذا ما نحتاجه يوميا حتى تسير عربه الدعوة والتبليغ في مسارها الصحيح وفقنا الله وإياكم لما يحب

= فقيل له: إن ناسًا مِنْ أهْلِ المَدِينةِ لا يَقدُمُونَ مِنْ سَفرٍ ولَا يُرِيدُونهُ يَفعَلونَ ذلكَ فِي اليَوْمِ مَرَّة أوْ أكثَرَ وَرُبَّمَا وَقَفُوا فِي الجُمُعَةِ أو في الأيام المرة أو المرتين أوْ أكْثَرَ عِنْدَ الْقَبْرِ فَيُسَلِّمُونَ وَيَدْعُونَ سَاعَةً، فَقَالَ: لَمْ يَبْلُغنِي هَذَا عَنْ أحَدٍ مِنْ أهْلِ الْفِقْهِ بِبَلَدِنَا وَتَرْكُهُ وَاسِعٌ، ولَا يُصْلِحُ آخرَ هذه الأمة إلا ما أصْلحَ أوَّلَهَا، ولَمْ يَبْلُغنِي عَنْ أوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَصَدْرِهَا أنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذلِكَ، وَيُكْرَهُ إلا لِمَنْ جَاءَ مِنْ سَفرٍ أوْ أرَادَهُ». اهـ وينظر «اقتضاء الصراط المستقيم»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٧٦٢، ٧٦٣ - ط مكتبة الرشد).

ويرضى.. وأن يرزقنا العمل والتطبيق لكل ما نقرأ وما نسمع.. وأن يفهمنا جهد حبيبه على منهاج حبيبه ابتغاء مرضاته.

أخوكم / محمد إمام

الدعوة إلى الله

قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١).

مقصد الدعوة إلى الله هو تكميل الإيمان والأعمال وإخراج الإيمان والأعمال من السطحية إلى التحقيق ومن الصورة إلى الحقيقة.

عدم فهمنا للمقاصد يؤدي بنا إلى عدم الاستقامة وترك الجهد.

وإذا تهاونا بالدعوة إلى الله كما تهاونا بالدين فلن نتحصل على مواعيد الله تعالى المتعلقة بها من الإصلاح والتربية والتزكية والتعلق بالله جل جلاله .

فسر العلماء قول الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (٢)، بمعنى أنه من أحسن دينا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا.

والدعوة والعمل الصالح مرتبطان ومتلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر ولا يكفي أحدهما دون الآخر.

وبالدعوة إلى الله نتحصل على القرب منه ﷻ وبقدر ما نجتهد في الدعوة يكون القرب منه .

---

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨.

(٢) فصلت _ الآية ٣٣ .

لا بد أن نتيقن من صميم قلوبنا أن الدعوة إلى الله والعمل الصالح بالاستقامة عليهما دائما كما هو حقهما وسيلة أكيدة للإصلاح والتزكية والتعلق به جل جلاله والتربية لدرجة أن إنكار ذلك مثل إنكار السنة.

لا بد أن نتيقن من صميم قلوبنا أن الله ﷻ حدد الدعوة إليه وسيلة للهداية

الدعوة إلى الله ليست بديلا يغني عن أي شعبة من شعب الدين، وكذلك لا تغني أي شعبة من شعب الدين عن الدعوة بحيث نأخذ ما نشتهي ونترك مالا نريد أبدا، لأن لكل من الدعوة وباقي شعب الدين أهميته و لزومه .

الدين والدعوة والتبليغ والتعليم كلها أمور متلازمة مع بعضها لا تفترق عن بعضها أبدا ولا يغني أحدها عن الآخر، وليس هنالك وسيلة للقرب من الله جل جلاله أعظم من الدعوة إليه، قال الشيخ محمد إلياس رحمه الله: بقدر ما نجتهد في دعوة الناس إلى الله بقدر ما يرضى الله عنا.

بل هذا الكلام مفهوم من حديث صحيح أنه ليس من عمل يقرب إلى الله أعظم من الدعوة إليه جل جلاله. لماذا ؟؟ لأن الدعوة إلى الله يتوقف عليها تحقيق وتثبيت ونشر الإيمان وكامل أعمال وأخلاق ومعاملات الإسلام .

وتصحيح الكلمة والإيمان والصلاة هذه هي حروف الهجاء للمرحلة الابتدائية من الدين مثل المسلم الجديد نعلمه أولا الكلمة الطيبة وباقي أركان الإسلام فور دخوله أنه بدون لا إله إلا الله محمد رسول الله لا دخول في الإسلام وأنه عليك أداء الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت.

والدعوة ليست للتعليم فقط بحيث تدخل ثم تتخرج وتقول أنا أكملت النصاب وتخرجت من المدرسة أبدا الدعوة إلى الله والأعمال الصالحة واجب علينا الاستقامة عليها إلى الممات والاستقامة عليها لا تأتي إلا بفهم المقاصد واليقين عليها.

مقصد حياة الإنسان الأول والأخير هو عبادة الله جل جلاله وحده لا شريك له، ولتحقيق العبادة لابد من معرفة الله (ﷻ) بالتفكر والتدبر والنظر في ملكوت الله جل جلاله والتعلم ولذلك لابد من الإكثار من ذكر الله حمدا وتكبيرا وتسبيحا والدعوة إليه حتى تتحقق معرفته فينا وفي المدعوين و نتحصل على الإيمان واليقين عليه جل جلاله فتأتي محبته في قلوبنا وعظمته وهيبته فلا نحب إلا إياه ولا نرجو سواه ولا نسأل غيره ولا نعبد إلا هو جل جلاله، فمعرفة الله واليقين عليه طريقا الإيمان به وعبادته حبا ورغبة ورهبة ورجاء وطريق تحقيق معرفة الله واليقين عليه هو الدعوة إلى الله والاستغراق فيها لأنها بيئة ذكر الله وتعظيمه وتنزيهه ومعرفته وغيرها من البيئات هي بيئات غفلة عن ذكر الله .

وعناصر الدعوة إلى الله هي في حياة الأنبياء والصحابة لا غير والأثر الصحيح والأقوى هو في اتباع طريقهم لا غير .

تغيير الطريقة قد يكون له نتيجة ولكن لن تكون كما في طريقة سيد الأنبياء والمرسلين بل وقد تكون النتائج عكسية وسلبية لكن طريقة السنة هي الناجحة

والمضمونة قد لا تكون النتائج ظاهرة أو سريعة ولكنها محققة ومؤكدة وراسخة ثابتة، انظر إلى نتائج دعوة النبي(ﷺ) وثمارها الصحابة رضوان الله عليهم واتباعهم إلى يوم الدين كيف كانت هدايتهم وثباتهم ورسوخهم؟ وكيف وكم انتشر الإسلام بسببهم؟، لما فيهم من صفات إيمانية عالية قوية لذلك الأصل الأصيل للدعوة الحقة هو اتباع طريقة الرسول ﷺ فيها، والحياد عنها والأخذ بالطرق الأخرى مخالفة لهديه وفيها ما فيها من الأخطار الجسام رزقنا الله وإياكم اتباع سنته و السير على منهاجه وطريقته في كل صغيرة وكبيرة فالخير كل الخير في اتباعه والشر كل الشر في مخالفته .أ. هـ .

مقصد الجهد

قال تعالى:{ اللَهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَ اللَهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}(١).

وقال تعالى:{ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى }(٢).

الله يختار لحمل أمانة دينه من يشاء ويختار، والله(ﷻ) يريد أن تكون حياة من يقوم بالجهد نموذجا لبقية الناس.

الله يريد أن تكون حياة من يقوم بالجهد نموذجا لبقية الناس.

- نحن لا ندعو إلى طريقة خاصة، أو جماعة خاصة أو إلى شخص خاص، ولا ندعو أحدا للانضمام إلى أهل الدعوة و التبليغ، ولكن نحن ندعو إلى الله (ﷻ) فقط لأن هذا هو طريق بناء الأمة، فكن فرداً من الأمة و ادع إلى الله جل جلاله .
- لا بد أن نفهم ما هو المقصود من هذا الجهد ؟

هذا العمل للتقرب إلى الله، والتقرب إلى الله ليس له نهاية، لأن الله ليس له نهاية، فهذا العمل للترقي في الأعمال والتقرب إلى الله، قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَهِ وَعَمِلَ صَالِحا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو

---

١) سورة الحج _ الآية ٧٥.

٢) سورة طه _ الآية ١٣.

حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ (١).

- بالدعوة يترقى الداعي إلى ما يدعو إليه، وبقدر ما يدعو، وبقدر ما يجتهد في هذا السبيل المبارك هو يتقرب إلى الله عز وجل .
- الداعي يشعر بهذا الترقي لما يعتقد أن الدعوة لنفسه.
- علينا أن نتيقن: أن هذا الجهد فيه تزكية نفوسنا.
- إذا يكون الضعف في هذا اليقين فلا نلتفت يمينا وشمالا ، بل نفتش كيف يكون إصلاح أنفسنا وتزكية نفوسنا.
- أعمال الدعوة لتزكية نفوسنا، نحن نتغذى ونتقوى بأعمال الدعوة، إذا نترك أي عمل من أعمال الدعوة " اليومي أو الأسبوعي أو الشهري أو السنوي " فنحن نشعر بالضعف كما يشعر الإنسان بالضعف في جسمه إذا فقد الغذاء.
- هذا العمل ليس فرض كفاية بل فرض عين.
- يا أحبابنا الكرام أحيانا يأتي في بالنا أن هذا العمل هو عمل من الأعمال، لو تركناه لا بأس، هذا العمل فرض عين على كل فرد من المؤمنين ليس فرض كفاية لأن هذه الدعوة لأنفسنا نحن.
- فرض كفاية = عمل يتعلق بغيرنا كصلاة الجنازة .
- فرض عين = العمل لنفسه
- ولا تكون الاستقامة على هذا العمل إلا بهذا الشكل وهذا اليقين وإلا نلتفت

---

١) سورة فصلت – الآيات من ٣٣ : ٣٥ .

يمينا وشمالا، لا زلنا نستفيد من المذاكرات والهدايات، ولكن تعلم ذلك بالمصاحبة أرسخ، وفقني الله وإياكم إلى كل ما فيه فوزنا وفلاحنا.

- من صفات الأنبياء الحلم والصبر والبصيرة، كانوا لا يغضبون على إنكار القوم للدعوة.
- أول شيء كيف نظن أن الدعوة لنا، وبالاحتياج، هذه قاعدة دعوة الأنبياء.
- نتكلم كلام الإيمان، لأن نصرة الله وقدرته، مع أصحاب الإيمان، والنصرة ليس خصوصية للأنبياء والصحابة فقط، بل النصرة موعودة علي الأعمال باليقين.
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): الذي يتكلم باليقين على خلاف الظاهر، هذا يترقى في اليقين، أما إذا نقول القصص فقط بالعلم فتأتي القصص فقط.
- تعلق اليقين بالقلب، وتعلق العلم بالذهن ورسول الله (ﷺ) كان يعطي لابنته فاطمة الأعمال عوضا عن المال: فَعَنْ سُوَيْد بْنِ غَفْلَةَ، قَالَ: أَصَابَتْ عَليا عليه السلام خَصَاصَةٌ، فَقَالَ لفَاطمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ لَوْ أَتَيْت النَّبيَّ ﷺ فَسَأَلْته، فَأَتَتْهُ، قَالَ: وَكَانَ عنْدَ أُمِّ أَيْمَنَ فَأَتَتْهُ فَدَقَّت الْبَابَ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ لأُمِّ أَيْمَنَ: " إنَّ هَذَا لَدَقٌّ فَاطمَةَ، وَلَقَدْ أَتَتْنَا في سَاعَة مَا عَوَّدَتْنَا أَنْ تَأْتينَا في مثْلهَا، قُومي فَافْتَحي لهَا الْبَابَ "، فَفَتَحَت الْبَابَ، فَقَالَ: " يَا فَاطمَةُ، لَقَدْ أَتَيْتنَا في سَاعَة مَا عَوَّدْتنَا أَنْ تَأْتينَا في مثْلهَا؟ "، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهَّ، هَذه الْمَلَائكَةُ طَعَامُهَا التَّهْليلُ وَالتَّسْبيحُ وَالْحَمْدُ فَمَا طَعَامُنَا؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: " وَالَّذي بَعَثَني بالْحَقِّ نَبيا مَا اقْتَبَسَ في آل مُحَمَّد نَارٌ مُنْذُ ثَلَاثينَ يَوْمًا، وَلَقَدْ

أَتَيْنَا أَعْنُزًا فَإِنْ شِئْت أَمَرْنَا لَك بِخَمْسَة أَعْنُز، وَإِنْ شِئْت عَلَّمْتُك كَلِمَات عَلَّمَنيهنَّ جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلَامُ آنِفًا "، فَقَالَتْ: عَلِّمْنِي كَلِمَات عَلَّمَكَهُنَّ جِبْرِيلُ عليه السلام، قَالَ: " قُولِي: يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ، وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّة الْمَتِينَ، وَيَا رَاحِمَ الْمَسَاكِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ "، فَفَعَلْتُ، قَالَ: فَانْصَرَفَتْ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام، فَقَالَ: مَا وَرَاءَك؟ قَالَتْ: ذَهَبْتُ مِنْ عِنْدِكَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَتَيْتُكَ بِالْآخِرَة، فَقَالَ: خَيْرٌ أَيَّامُك خَيْرٌ أَيَّامُك(١) (فنتمرن على اليقين).

- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إذا تكون بين الأسباب وتتكلم في اليقين فلا يصير شيء.
- إذا لم تكن الأشياء والأسباب، فكيف نعرف المؤمن من غير المؤمن، علينا أن نفرق بين الأسباب اليقينية والأسباب الغير اليقينية، ونختار الأسباب اليقينية بهذا يكون الفرق بيننا وبين غير مؤمن.. كيف يكون أساس كل كلامنا اليقين.
- المتكلم يتكلم بالعلم، والمستمع يسمع بالشك فصار ضياع اليقين، والأصل المتكلم يتكلم باليقين والمستمع يسمع باليقين بهذا يتكون اليقين .
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): الذي يجلس في البيان، فالشيطان يجلس في قلب المستمع، يقول: كيف هذا الشيء يصير فيأتي الشك.
- **ليس موضوع الدعوة زيادة المعلومات...الخ قال الشيخ محمد إلياس** (رحمه

---

١) أخرجه الطبراني في" الدعاء" (٣١٩/١) ، والشجري في "الأمالي الخميسية" (٣٢٥/١) . ومن طريق الطبراني :أبو الفرج الثقفي في "فوائده".

الله): ندعو إلى الكتب الإسلامية هذا ليس منهج الأنبياء (عليهم السلام) بل منهج الأنبياء هو أن نريهم الصفات الإسلامية في حياتنا.

- أ، ب ، ت ،...الخ هذا الجهد لتصحيح الكلمة والصلاة هذا بداية العمل وليس نهاية العمل.
- أصل المقصود مجيء اليقين على الموعودات التي وعدنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها على الأعمال بهذا يكون خلاف الظاهر.
- الآن صار المسلم يعرف بالاسم فقط بعد هذا لا يوجد أي علامة.
- **سبب زوال اليقين: هو** أن نظن أن دعوة الإيمان لغيرنا ليس لنا.
- كيف يكون للأحباب في المسجد مجالس الذي أساسها الإيمان، لشكر الله على نعمة الإسلام والإيمان، هو الذكر المقصود في المجالس.
- مراد الذكر الاجتماعي تذكرة النظام الغيبي لله، الذي به يخرج يقين المشاهدات من القلب.. والذكر بلفظ الجلالة (الله) هذا ذكر انفرادي.
- تحصيل القوة في الأعمال الانفرادية، عن طريق الأعمال الاجتماعية، وبدون الأعمال الاجتماعية، لا نتحصل على حقيقة الأعمال الانفرادية.
- المراد من المجلس هو تذكرة النظام الغيبي لله .
- الأمة لا تجتمع عندما لا توصل الأعمال المسجد كما كان مسجد النبي ﷺ، فأي شيء نريده لا يصير انتهاء أعمال الدعوة.
- ظن البعض أن المسجد فقط للصلاة عمل واحد من أعمال المسجد.

- **ميدان جهد الأنبياء** (عليهم السلام): هو الإنسان، وميدان جهد الأنبياء هو المسجد.
- في الأعمال الاجتماعية: يتكون اليقين، وهذا اليقين يجعل قوة في الإعمال الانفرادية.
- كان في دلهي عالم ، دعوه إلى زيارة المركز لسماع البيان، فقال العالم: ماذا هناك ؟ فقالوا له: يوجد كلام الآخرة والجنة والنار وما فيها، فقال العالم: هذا معروف في الجنة تكون حور العين..الخ والنار يوجد فيها العقارب..الخ فلما دخل المركز للبيان وكان الشيخ محمد إلياس يبين وكان يقول في الجنة يوجد الحور العين وفي جهنم يوجد العقارب، فقال العالم: فتغير الكيفية التي كانت عندي، كنت ظننت أنه سيكون في الجنة حور العين وفي جهنم العقارب ولكن عرفت الآن في الجنة توجد حور العين، وفي النار توجد العقارب، باليقين.
- جبال أعمال انفرادية، أصغر من ذرة أعمال الاجتماعية، وذرة أعمال اجتماعية، أكبر من جبال أعمال انفرادية.
- العمل في قبضة اليقين: بمقدار اليقين يترقى في العمل، فأساس العمل اليقين.
- والداعي إذا ترك الدعوة: يأتي عنده شعور بالضعف في كيفية العمل، وإذا لم يشعر بذلك فهو ليس بداعي(١).

١) من بيان في اجتماع القدماء في بوبال بالهند ٢٠١٢/٨/١.

آداب وأصول

(تحلية لا تخلية)

هذا العمل يمشي بسنته عز وجل، وسنة الله من البداية إلى النهاية من بعثة آدم إلى يوم القيامة.. أن الله ﷻ هو الذي ينتخب من الرجال ومن الملائك لإقامة دينه إلى يوم القيامة، وهذا الانتخاب ليس منا ولا من أهل الشورى بل رأسا من الله عز وجل، قال تعالى:{ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }(١).

وهذا من سنته عز وجل، وسنة الله لا تتغير ولا تتبدل، والسنة في استخدام الناس والملائك لإقامة دينه أن يكون الداعي متصف بالصفات المطلوبة ، لأن هذا العمل لا يمشي إلا بمزاج النبوة، فالناس أمزجتهم مختلفة لأن الناس متفرقين ومنتشرين في أشغال الدنيا بعضهم في الحكومة، وبعضهم في المناصب، وبعضهم في التجارات، وبعضهم في الزراعات، يعني اختلاطهم مع الناس وانشغالهم في الدنيا، فأذهاننا تمشي حسب أحوال الدنيا ثم نتعامل في هذا العمل مع الناس كالتعامل في الدنيا مع الناس، وهذا هو سبب الاختلاف والافتراق.

فهذا العمل لا يمشي ولا يؤيد من الله عز وجل إلا بمزاج النبوة، هذا هو الأساس، وهذا من سنته عز وجل ، { وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ

---

١) سورة الحج _ الآية ٧٥.

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }(١) ماهي الكلمات هذه الصفات، وهذه الصفات منتشرة في القرآن وهي حوالى ثلاثون صفة، في سورة المؤمنين وفي غيرها فالذي يتقيد بهذه الصفات، الله يستخدمه، ينتخبه لهذا العمل، وهذا هو الأساس، وهذا مربوط بهذه الصفات.

المسئولية الكبرى والعظمى أن نتصف بهذه الصفات المطلوبة، وأكبر صفة مطلوبة أن يكون الداعي في عمله الدعوة ، التوسع والاستيعاب لكل طبقات العالم، لما هاجر النبي إلى المدينة أخذ طريق ركوبة الذي فيه اللصان ،كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثني أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ [ﷺ] أَتَاهُمْ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَتْ لِأَبِي بَكْرٍ عِنْدَنَا بِنْتٌ مُسْتَرْضَعَةٌ وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ الِاخْتِصَارَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ هَذَا الْغَائِرُ مِنْ رَكُوبَةٍ وَبِهِ لِصَّانِ مِنْ أَسْلَمَ يُقَالُ لَهُمَا الْمُهَانَانِ فَإِنْ شِئْتَ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ [ﷺ]:" خُذْ بِنَا عَلَيْهِمَا " قَالَ سَعْدٌ: فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا، إِذَا أَحَدُهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ هَذَا الْيَمَانِي فَدَعَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ [ﷺ] فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَا ثُمَّ سَأَلَهُمَا عَنْ أَسْمَائِهِمَا فَقَالَا نَحْنُ الْمُهَانَانِ فَقَالَ بَلْ أَنْتُمَا الْمُكْرَمَانِ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقْدَمَا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ فَخَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا ظَاهِرَ قُبَاءَ فَتَلَقَّى بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ النَّبِيُّ [ﷺ] أَيْنَ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ إِنَّهُ أَصَابَ

---

١) سورة البقرة _ الآية ١٢٤.

قَبْلِي يَا رَسُولَ اللهِ أفلا أخْبِرُهُ لكَ ثمَّ مَضَى حَتَّى إذا طلعَ عَلى النَّخْلِ فإذا الشَّرْبُ مَمْلُوءٌ فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ [ﷺ] إلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ يَا أَبَا بَكرٍ هَذا المَنْزِلُ رَأيْتَنِي أنْزِلُ عَلى حِيَاضٍ كحِيَاضِ بَنِي مُدْلِجٍ(١).

يكون في عملنا التوسع(٢) والاستيعاب لجميع خلق الله عز وجل، من كان في جماعتنا ومن لم يكن في جماعتنا، هذا مزاج النبوة وبهذا المزاج لا نجتهد فرقة بل نجتهد أمة، أن يكون في مزاج الداعي التوسع، وأن يكون قلبه أوسع من العالم، حتى لا تنطق ألسنتنا بأسماء الجهود الأخرى، خرجت جماعة إلى دولة ثم أرسلوا لنا رسالة وقالوا: نحن لا نستطيع أن نجتهد في هذا المكان بهذا العمل لأن فيهم السلفيين أكثر، فكيف نجتهد؟ فأنا أرسلت لهم رسالة ، قلت لهم: أنتم لا تستطيعون الجهد في أي مكان أن تقوموا بهذا العمل في أي مكان في العالم، لأن في ذهنكم أن هنا جماعة كذا وكذا، بل الداعي يستوعب كل طبقات الأمة، الداعي قلبه واسع لكل العالم: { وَمَا أرْسَلْنَاكَ إلَا كَافَةً لِلنَاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَ أكْثَرَ النَاسِ لا يَعْلَمُونَ }(٣).

الشيخ إلياس(رحمه الله) في بداية العمل قال: إن هذا اللفظ المفرق لفظ: ((جماعة)) يفرق.. لسنا جماعة، بل نحنُ أمة، نجتهد أمة ، ومعنى الأمة،

---

١) مسند أحمد » أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين » حديث سعد الدليل رضي الله تعالى عنه(١٦٢٥٠).

٢) يقصد الشيخ سعة الصدر.

٣) سورة سبأ _ الآية ٢٨.

كما جاء: عَنِ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ قال: إنَ مُعَاذ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ كان أمَّة قانتًا لِلهِ حَنيفا. فقِيل: إنَ إبْرَاهِيمَ كان أمَّة قانتًا لِلهِ حَنيفًا. فَقَالَ: مَا نَسيتُ، هَلْ تَدْرِي مَا الْأُمَّةُ وَمَا الْقَانتُ ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ: الْأُمَّةُ الَّذِي يُعَلِّمُ الْخَيْرَ، وَالْقَانتُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، وَكَانَ معاذ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَمُطِيعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

وعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إنَ معاذا رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ كَانَ أُمَّةً قَانتًا، فَقِيلَ: إنَّ إبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانتًا. فَقَالَ عبد الله: إنَّا كُنَّا نُشَبِّهُ معاذا بِإبْرَاهِيمَ (ﷺ)، قِيلَ لَهُ: فَمَنِ الْأُمَّةُ ؟قَالَ: الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ. (١).

بهذا ليست دعوتنا إلينا ولا إلى جماعتنا بل دعوتنا إلى الله ورسوله، الأمة لا تجتمع إلا إلى الله وإلى رسوله.

ذكرت قصة: الشيخ ميان جي محراب مرة ذهب إلى ميوات فرغب الناس وشكلهم للخروج فلم يخرجوا، فجاء في باله أنا يُشكل الناس إلى نظام الدين لزيارة الشيخ إلياس، وهناك يرغبهم الشيخ إلياس للخروج، لأن الشيخ إلياس كان يرغب الناس بالقوة، ولما يذهبوا عنده يرغبهم فيستعدوا للخروج، ثم شكلهم لزيارة الشيخ فاستعدوا وذهبوا معه لنظام الدين، فلما أتوا إلى نظام الدين الشيخ ميان جي محراب ذهب للخلاء والشيخ إلياس استقبلهم وفرح

---

١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» المهاجرون من الصحابة» معاذ بن جبل» وصف ابن مسعود له بأنه كان أمة قانتا.

بهم، وقال لهم: ما شاء الله جئتم لأربعة أشهر قالوا: لا، الشيخ رغبنا في زيارتكم، فجئنا لزيارتكم، فالشيخ ميان جي محراب(رحمه الله) أخبرني أنا ما رأيت الشيخ غضب عليَّ مثل ذلك اليوم، غضب عليَّ غضبا شديداً، وقال: أنت يا ميان جي ! دعوتهم إليَّ، لماذا لم تدعوهم إلى الله، الشيطان خرب عملنا، الشيطان خرب عملنا.

لا نجمع الناس إلينا بل لجهد الرسول، ولا تجري أسماء الجهود الأخرى على ألسنتنا، هذا مزاج العمل، ندعو الناس أنهم من الأمة يكون في جهدنا التوسع لكل الناس.

الشيخ إلياس أرسل جماعة وأمر عليهم رجلا يعرفه، ولما خرجت الجماعة وبعد عشر يوما أرسلوا رسالة أن هذا الرجل ارتد للنصرانية وأصبح يدعو الناس للنصرانية ، فتركته الجماعة وقامت بالعمل، وبعد ستة أشهر هذا الرجل الذي ارتد تاب ورجع لدينه، ثم جاء لنظام الدين فاستقبله الشيخ إلياس استقبالا بالترحيب وكأنه لا يعرف شيئا عن ردته، وأكرمه الإكرام، وسأله أين خرجتم؟ ماذا فعلتم في الخروج؟، يأخذ أحوال الخروج ، ولا يسأله عما بدر منه، فيقول: وهو يبين الأحوال فعلنا كذا وكذا، والشيخ يسمع، ثم يشكله مع جماعة أخرى، وبعد كم يوم يأتي الخبر أنه ارتد، ثم يقول الشيخ: هو سيأتي، وبعد شهور يرجع الشيخ، ولما يرجع يستقبله استقبالا أفضل وأحسن من السابق، فقالوا يا شيخ: هو كان يلعب بالدين، فلا تأمنه ولا تلحقه مع جماعة أخرى،

فقال الشيخ: هذا التكرار بيننا وبين الله، ونكرر هذا حتى نعلم على ما يموت.. كان التوسع لهذه الدرجة.. بعد ذلك هو تاب توبة نصوحة وثبت على الجهد وصحب الشيخ إلياس ونشر الله به الدين ثم مات.

يعني ضيق الصدر والقلوب ضد هذا العمل، فلهذا قال الله { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }(١)، من ينفض من حوله الصحابة فما بال نحنُ، لو يكون في مزاجنا الشدة كيف يكون الناس معنا، أين نحن { لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ }(٢)، ما عندنا إلى التشويق والترغيب والهداية بيد الله وهو المربي { لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ } (٣) عليك التحريض وتكلف نفسك، التحريض مؤثر بالتكليف، فنكلف أنفسنا ونحرض غيرنا.

هذا الدين رحمة من الله { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }(٤) الرحمة تفسيرها: اللين في الكلام وفي استخدام الناس.

الناس ليسوا ملائكة يخطئون، ليسوا ملائكة ألا يأتمروا.. فلهذا نيتنا مسئوليتنا، لما يخطأ الأحباب في العمل فعلينا العفو (فاعف عنهم) ما هو حد

---

١) سورة آل عمران _ الآية ١٥٩.
٢) سورة الغاشية _ الآية ٢٢.
٣) سورة النساء _ الآية ٨٤.
٤) سورة الأنبياء_ الآية ١٠٧.

العفو: فتفكرنا في سيرته عليه السلام بعض قصص الصحابة يعني تبين حد العفو، الأحباب لا يعرفون أقصى العفو: قصة حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ: عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ وَهُوَ كَاتِبُ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ [ﷺ] أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ، فَقَالَ:" ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا " فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ [ﷺ] فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ [ﷺ] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ [ﷺ]:" يَا حَاطِبُ مَا هَذَا " قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا أَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ [ﷺ]:" صَدَقَ " فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ:" إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ " لَكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:[**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**] وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ وَزُهَيْرٍ ذِكْرُ الْآيَةِ (١).

---

١) صحيح البخاري» كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم» باب ما جاء في

هذا أكبر خطأ أن أفشى سره (ﷺ) ولا يعمل هذا العمل إلا منافق.

هذه القصص تعلمنا أن الأحباب لما يخطئون في هذا العمل، ففورا ننظر إلى تضحياتهم السابقة، فقد: خَرَجَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ فلمَّا وَضْعَ، قال عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب: لا تُصَلِّ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ فإِنَّهُ رَجُلٌ فاجِرٌ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ:" هَلْ رَآهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلِ الإِسْلامِ ؟ " فَقَالَ رَجُلٌ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ !، حَرَسَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَحَثَى التُّرَابَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَصْحَابُكَ يَظُنُّونَ أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَقَالَ: يَا عُمَرُ، إِنَّكَ لا تَسْأَلُ عَنْ أَعْمَالِ النَّاسِ، وَلَكِنْ تَسْأَلُ عَنِ الْفِطْرَةِ " . (١).

فهذه القصص تعلمنا كيف كان رسول الله يفعل لما الصحابة يخطئون كان يذكر الصحابة بتضحياتهم السابقة.

وهذه القصص تعلمنا كم تكون سعة الصدر في هذا العمل.. فلا يعتزل من هذا العمل أحد ، ممكن يكون معذور لمرض لشيء، هذا العمل ليس شركة،

المتأولين(٦٥٤٠)، صحيح مسلم» كتاب فضائل الصحابة» بَاب مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ وَقِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ (٢٤٩٤)، سنن أبي داود» كتاب الجهاد» باب فِي حُكْمِ = = الْجَاسُوسِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا (٢٦٥٠)، سنن الترمذي» كتاب تفسير القرآن» بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْمُمْتَحِنَةِ (٣٣٠٥)، مسند أحمد» مسند العشرة المبشرين بالجنة» مسند الخلفاء الراشدين» ومن مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٦٠١)، المستدرك على الصحيحين» كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم» ذِكْرُ أَهْلِ بَدْرٍ (٢٩١٨).

١) أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) (السابع والعشرون من شعب الإيمان وهو باب في المرابطة ...) ح ٣٩٨١.

وليس هذا العمل عملنا، لا يتصور في هذا العمل اعتزال الناس .

ليست مشورتنا محكمة، سرائر العبد بينه وبين الله، ولا نتجسس والذي يتبع عورات الناس يفسدهم، فَعَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ "(١).

والإفساد يكون التباعد بين الأحباب، وبالتجسس يأتي التنافر بين الأحباب وسوء الظن، وسوء الظن من الشيطان.. والتجسس يأتي بالغيبة.. وقد نهينا عن الغيبة: قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (٢).

مزاج هذا العمل هي أن نرى شيء في الأحباب نخفيه، هذا الإخفاء واجب علينا، والإخفاء طريق التربية، والإفشاء طريق الإفساد.

امرأة زنت في عهد عمر رضي الله عنه، وهذه قصتها: عَنِ الشَّعْبِيِّ: " أَنَّ رَجُلا أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: إِنَّ لِي ابْنَةً وَأَدْتُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنِّي اسْتَخْرَجْتُهَا فَأَسْلَمَتْ فَأَصَابَتْ حَدًّا ، فَعَمَدَتْ إِلَى الشَّفْرَةِ فَذَبَحَتْ نَفْسَهَا، فَأَدْرَكْتُهَا وَقَدْ قُطِعَتْ بَعْضُ أَوْدَاجِهَا فَدَاوَيْتُهَا فَبَرَأَتْ، ثُمَّ إِنَّهَا نَسَكَتْ، فَأَقْبَلَتْ عَلَى الْقُرْآنِ، وَإِنَّهَا تُخْطَبُ إِلَيَّ فَنُخْبِرُ مِنْ شَأْنِهَا

---

١) سنن أبي داود » كتاب الأدب» بَاب فِي النَّهْيِ عَنْ التَجَسُّسِ (٤٨٨٨).
٢) سورة الحجرات _ الآية ١٢.

بالذِي كان؟ فقال عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: تَعْمِدُ إلى سِتْرٍ سَتَرَهُ اللهُ تَعَالى فَتَكْشِفُهُ؟! لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِهَا شَيْئًا لأَجْعَلَنَّكَ نَكَالا لأَهْلِ الأَمْصَارِ، بَلْ أَنْكِحْهَا نِكَاحَ الْعَفِيفَةِ الْمُسْلِمَةِ " .. (١).

عَنِ السُّدِّيِّ ، قال: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإذا هُوَ بِضَوْءِ نَارٍ، وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: فَاتَّبَعَ الضَّوْءَ حَتَّى دَخَلَ دَارًا، فَإِذَا سِرَاجٌ فِي بَيْتٍ، فَدَخَلَ، وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَإِذَا شَيْخٌ جَالِسٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ شَرَابٌ وَقَيْنَةٌ تُغَنِّيهِ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ عُمَرُ: " مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ مُنْكَرًا أَقْبَحَ مِنْ شَيْخٍ يَنْتَظِرُ أَجَلَهُ "، فَرَفَعَ الشَّيْخُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: " بَلَى، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا صَنَعْتَ أَنْتَ أَقْبَحُ، إِنَّكَ قَدْ تَجَسَّسْتَ، وَقَدْ نُهِيَ عَنِ التَّجَسُّسِ، وَدَخَلْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ، فَقَالَ عُمَرُ: " صَدَقْتَ، ثُمَّ خَرَجَ عَاضًّا عَلَى يَدَيْهِ يَبْكِي"، قَالَ: " ثَكِلَتْ عُمَرَ أُمُّهُ إِنْ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ رَبُّهُ، يَجِدُ هَذَا، كَانَ يَسْتَخْفِي هَذَا مِنْ أَهْلِهِ "، فَيَقُولُ: " الآنَ رَأَى عُمَرُ فَيَتَتَابَعُ فِيهِ "، قَالَ: " وَهَجَرَ الشَّيْخُ مَجَالِسَ عُمَرَ حِينًا، فَبَيْنَمَا عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ بَعِيدٌ جَالِسٌ، إِذَا هُوَ بِهِ قَدْ جَاءَ شِبْهَ الْمُسْتَخْفِي، حَتَّى جَلَسَ فِي أُخْرَيَاتِ النَّاسِ، فَرَآهُ عُمَرُ، فَقَالَ: " عَلَيَّ بِهَذَا الشَّيْخِ "، فَقِيلَ لَهُ : فَقَامَ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ عُمَرَ سَيَنَبِّئُهُ بِمَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: " ادْنُ مِنِّي "، فَمَا زَالَ يُدْنِيهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ بِجَانِبِهِ، فَقَالَ: " أَدْنِ مِنِّي أُذُنَكَ، فَالْتَقَمَ أُذُنَهُ "، فَقَالَ: " أَمَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ رَسُولا، مَا أَخْبَرْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بِمَا رَأَيْتُ مُنْكَرًا، وَلا

---

١) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر... » كِتابُ النكاحِ» بَابُ جَوَازِ كِتمَانِ بَعْضِ عُيُوبِ الْمَرْأَةِ... رقم الحديث:(١٧١١)، اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة(٣٥٤٩) المكتبة الشاملة على النت.

ابْنَ مَسْعُودٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ مَعِي "، فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْنِ مِنِّي أُذُنَكَ، فَالْتَقَمَ أُذُنَهُ، فَقَالَ: وَلا أَنَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ رَسُولا، مَا عُدْتُ إِلَيْهِ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي، فَرَفَعَ عُمَرُ صَوْتَهُ، فَكَبَّرَ، مَا يَدْرِي النَّاسُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يُكَبِّرُ(١).

هذه دروس لأنه أخفى عيبه فتربى، لأن المربي لابد أن يكون شفيقا على أصحابه ولذلك نرغب الأحباب لقراءة حياة الصحابة لنمتزج بمزاج النبوة ، لأن هذا العمل مؤيد إلى يوم القيامة بمزاج النبوة.

مسئوليتنا إحياء السنة : سنة العبادة وسنة الدعوة، وسنة الحاجة، فتأييدات الله تعالى لنا إلي يوم القيامة مربوط بسنته.

مرة سافرنا إلى جدة فصار النزاع بين مضيفات الطائرة في بعض أمورهن في الخدمة وأنا لا حظت ذلك وهن كلهن دخلن مكان وجود الطعام وكان النزاع شديد وكان باللغة العربية وأنا فهمته وبعد ربع ساعة خرجن كلهن مبتسمات، فأنا طلبت واحدة وسألتها ماذا كان بينكن قالت: ما كان شيء، قلت : والله كان شيء، قالت: هل أنت سمعت قال: نعم. هي قالت: والله لا تخبر أحد، لماذا أنتم في الداخل؟، قالت: هذه الشركة، لو الناس يعلمون أن هناك نزاع في هذه الشركة الناس يتركونها فيلحقها الخسارة.. أنا لا أحب الكلام معها، ولكن أحببت أن أسمع منها اهتمامها بشركتها وكيف أخفين النزاع من الركاب، أخفين نزاعهن محافظة على شركتهم.

---

١) التوبيخ والتنبيه» بَابُ النهْيِ عَنْ كشفِ عَوْرَاتِ المُسْلِمِينَ ...رقم الحديث: ١٠٠.

فكيف نحافظ على هذا العمل العظيم ونخفي عيوب بعضنا بعضا.

عَنِ الشَّعْبِيِّ، أنَ عُمَرَ كانَ فِي بَيْتٍ وَمَعَهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فوَجَدَ عُمَرُ رِيحًا، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَى صَاحِبِ هَذِهِ الرِّيحِ لَمَّا قَامَ فَتَوَضَّأَ، فَقَالَ جَرِيرٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوَيَتَوَضَّأُ الْقَوْمُ جَمِيعًا؟ فَقَالَ عُمَرُ: " رَحِمَكَ اللَّهُ، نِعْمَ السَّيِّدُ كُنْتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَنِعْمَ السَّيِّدُ أَنْتَ فِي الإِسْلامِ " (١).

هذا مزاج العمل ، لما نبتعد عن مزاج النبي والخلفاء تأتي المشاكل.. المزاج إخفاء العيوب.. القطة لما تتغوط في أي مكان تخفيها، مرة كانت القطة في الحجرة فتغوطت فلم تجد شيء تخفيها فأخذت المخدة ووضعتها عليها .. هذا مزاج الحيوان.

مقصود كلامنا لم يحدث بين أحبابنا شيء فهذا ينتشر بيننا أسر ما ينتشر بين أهل الدنيا فالغيبة أشد من الزنا لأن الزاني يتوب أما الغيبة فيتعلق بالعباد لهذا هي أشد من الزنا.. أساس الأصول الاجتماعية هذه الأربعة:(اللين العفو والاستغفار والمشورة).

فالذي كان يضر هذا العمل، مثل عبد الله بن أبي بن سلول، كان الرسول يستغفر لهم، والله منعه لأنه لا ينفعهم، **قال تعالى:** (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فلنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد» وَمِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ سَائِرِ قَبَائِلِ العَرَبِ ... » وَمِنْ بَجِيلَة وهم بنو أنمار بن أراش بن عمرو ابن ... » جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِرقم الحديث: ١١١٣٦.

كفرُوا باللهِ ورَسُولِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقوْمَ الْفاسِقِينَ) (١).وَيُرْوَى عَنْ رَسُولِ اللهَّ (ﷺ) أَنَّهُ حِينَ نَزَلَتْ هَذِه الْآيَةُ قَالَ : " لَأَزِيدَنَّ فِي الاسْتِغْفَارِ لَهُمْ عَلَى سَبْعِينَ مَرَّةً " رَجَاءً مِنْهُ أَنْ يَغْفِرَ اللهُّ لَهُمْ ، فَنَزَلَتْ: (سَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَسْتَغْفرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَ اللهَ لا يَهْدِي الْقوْمَ الْفاسِقِينَ) (٢).

الأحباب فيما بينهم بعضا هذا العمل من البداية للنهاية يأتي فيه المشاكل والمكاره: فعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ):" لَقَدْ أُخِفتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثُون مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ" قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(٣).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : جَعَلَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَتْلُو عَلَيَّ هَذِهِ الْآيَة :(وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلَ لهُ مَخْرَجًا) (٤)، حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ ، ثُمَّ قَالَ: " يَا أَبَا ذَرٍّ ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَهُمْ أَخَذُوا بِهَا لكفتْهُمْ "، قَالَ: فجَعَلَ يَتْلُوهَا، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ حَتَّى نَعَسْتُ، ثُمَّ قَالَ: " يَا أَبَا ذَرٍّ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ أُخْرِجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ ؟ " قَالَ: قُلْتُ: إِلَى السَّعَةِ وَالدَّعَةِ، أَنْطَلِقُ حَتَّى أَكُونَ حَمَامَةً مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ، قَالَ: " كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ أُخْرِجْتَ مِنْ مَكَّةَ ؟ " قَالَ : قُلْتُ: إِلَى السَّعَةِ وَالدَّعَةِ، إِلَى

---

١) سورة التوبة _ الآية ٨٠.

٢) سورة المنافقون _ الآية ٦.

٣) سنن الترمذي » كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» باب منه(٢٤٧٢).

٤) سورة الطلاق _ الآية ٢.

الشَّامِ وَالْأَرْضِ الْمُقدَّسَةِ، قال: " كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ أُخْرِجْتَ مِنَ الشَّامِ ؟ " قال: قُلْتُ: إِذَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَضَعَ سَيْفِي عَلَى عَاتِقِي، قال: " أَوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ " قال: قُلْتُ: أَوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ ! قَالَ: " تَسْمَعُ وَتُطِيعُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا "(١) .

وفي رواية له: عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِيَّ (ﷺ)، ثُمَّ آتِي الْمَسْجِدَ إِذَا أَنَا فَرَغْتُ مِنْ عَمَلِي، فَأَضْطَجِعُ فِيهِ، فَأَتَانِي النَّبِيُّ (ﷺ) يَوْمًا وَأَنَا مُضْطَجِعٌ، فَغَمَزَنِي بِرِجْلِهِ، فَاسْتَوَيْتُ جَالِسًا فَقَالَ لِي: " يَا أَبَا ذَرٍّ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهَا ؟ " فَقُلْتُ: أَرْجِعُ إِلَى مَسْجِدِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَإِلَى بَيْتِي، قَالَ: " فَكَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهَا ؟" فَقُلْتُ: إِذًا آخُذَ بِسَيْفِي، فَأَضْرِبَ بِهِ مَنْ يُخْرِجُنِي ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِي، فَقَالَ: " غَفْرًا يَا أَبَا ذَرٍّ ثَلَاثًا، بَلْ تَنْقَادُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَادُوكَ، وَتَنْسَاقُ مَعَهُمْ حَيْثُ سَاقُوكَ وَلَوْ عَبْدًا أَسْوَدَ "، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَلَمَّا نُفِيتُ إِلَى الرَّبَذَةِ أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ أَسْوَدُ كَانَ فِيهَا عَلَى نَعَمْ الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا رَآنِي أَخَذَ لِيَرْجِعَ وَلِيُقَدِّمَنِي، فَقُلْتُ: كَمَا أَنْتَ، بَلْ أَنْقَادُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).

يعني سؤاله إلى متى منتهى صبره، الشيخ يوسف(رحمه الله) كان يقول: الداعي موته في داخل ميدان الصبر، كما يموت الكافر في ميدان الشهوات.

ميدان الصبر أوسع من حياة الداعي يقبر فيه.

---

١) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ» حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ...رقم الحديث: ٢١٠١٨.

٢) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ» حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ...رقم الحديث: ٢٠٧٧٤.

هناك شيئين بعض الأصحاب يضرونا، الشيخ إلياس كان يقول: أنا طلبت من الله، أن يحفظ العمل، وهذا العمل لا يضره أحد ، ولكن العمل محفوظ لا يضره أحد، وهذا العمل كالبحر السمك الذي يموت فيه يلقه للخارج.. فلماذا نلوث أيدينا بإخراج أحد فهذا التلوث لو في أيدينا ما يذهب.. رسول الله تحمل المنافقين، سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ سَمِعَ عَمْرٌو جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ يَقُولُ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غزَاةٍ فكسَعَ رَجُل مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلا مِنْ الْأَنْصَارِ فقال الْأَنْصَارِيَّ يَا لَلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيَّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فقال رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ(١) فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ قَدْ فَعَلُوهَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَ قَالَ عُمَرُ دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ (٢)(٣).

---

١) قولُهُ صلى اللهُ عليْهِ وسلمَ : (دَعُوهَا فإنهَا مُنتِنة) أيْ قبيحَة كريهَة مُؤْذِيَة.

٢) صحيح مسلم » كتاب البر والصلة والآداب» باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما (٢٥٨٤).

٣) قولُهُ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ: (دَعْهُ . لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) فِيهِ مَا كانَ عَلَيْهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ مِنَ الْحِلمِ، وَفِيهِ تَرْكُ بَعْضِ الأُمُورِ المُخْتَارَةِ، وَالصَّبْرِ عَلى بَعْضِ المَفاسِدِ خوْفًا مِنْ أَنْ تَترَتَّبَ عَلى ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ مِنهُ، وكَانَ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ يَتَأَلَّفَ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلى جَفَاءِ الأَعْرَابِ وَالمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ لِتقْوَى شوْكَةُ المُسْلِمِينَ، وَتَتِمُّ دَعْوَةُ الإِسْلَامِ، وَيَتَمكَّنُ الإِيمَانُ مِنْ قُلُوبِ المُؤَلَّفَةِ، وَيَرْغَبُ غَيْرُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وكَانَ يُعْطِيهِمُ الأَمْوَالَ الجَزِيلَةَ لِذَلِكَ ، وَلَمْ يَقْتُلِ المُنَافِقِينَ لِهَذَا المَعْنَى، وَلإِظْهَارِهِمُ الإِسْلَامَ، وَقَدْ أُمِرَ بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ، وَلأَنَّهُمْ كَانوا مَعْدُودِينَ فِي أَصْحَابِهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ إِمَّا حَمِيَّةً، وَإِمَّا لِطَلَبِ دُنيَا، أَوْ عَصَبِيَّةً لِمَنْ مَعَهُ مِنْ عَشَائِرِهِمْ. قال القاضي: وَاخْتلف الْعُلَمَاءُ هَلْ بَقِيَ حُكْمُ الْإِغْضَاءِ عَنْهُمْ، وَتَرْكُ قِتَالِهِمْ، أَوْ نُسِخَ ذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِ الإِسْلَامِ،=

نعفو عن الناس عما يؤذينا ونستغفر لهم فيما يخص هذا العمل.

المشورة أكبر مظهر للاتفاق أو الافتراق.. كما أن الصلاة أكبر مظهر لاجتماع المسلمين، الذي يصلى في بيته ولا يصلي في الجماعة ماذا قيل فيه: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ تَعَالَى غَدًا مُسْلِمًا؛ فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ؛ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١).

فالذي يعتزل الأمير والشورى كالأمواج قوتها في داخل البحر تكون كالجبال تغرق السفن، أما التي تخرج خارج البحر، فالماء ينتشر في البر فتبعثرها الرياح والشمس فلا تكون شيء ولا يبقى منها شيء.

لا يكون رأيه خلاف الشورى، فالشورى أهميتها في الاجتماعية والطاعة كالصلاة، لذلك ذكرها مع الصلاة ولم يذكر بقية الفرائض، فقال تعالى: (

= وَنزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى : جَاهِدِ الكفارَ وَالمُنَافِقِينَ وَأَنهَا نَاسِخَة لمَا قبلهَا: وَقِيل قَوْل ثَالِث: أَنهُ إِنمَا كَانَ الْعَفْوُ عَنْهُمْ مَا لَمْ يُظْهِرُوا نِفَاقَهُمْ ، فَإِذَا أَظْهَرُوهُ قُتِلُوا (صحيح مسلم شرح النووي).

١) مشكاة المصابيح _ كتاب الصلاة» باب الجماعة وفضلها(١٠٧٢).

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (١).

معناه المشورة مثل الصلاة لها إمام وبقية الناس تابع له وإذا أخطأ الإمام يفتح عليه المأموم، وعند الأحناف: لازم أن يفتح على الإمام المأموم الشريك في الصلاة والذي خارج الصلاة لا يصح له أن يفتح على الإمام.. كالذي لا يشارك في الأعمال ولا يحضر الشورى ويشتكي: نبدي لهم الرأي ولا يقبلون، لا بد الذي يفتح على الإمام لا بد أن يحضر ويشارك ، ولا يبدي رأيه عن بعد.

فالشورى أكبر عمل اجتماعي.. فالذي يحضر في الشورى ويجتهد لها ويترك لها مقتضياته ، ويترك لها أشغاله، والله يلهم هذا العمل على من يضحي، هذا العمل بالنص ليس بالعقل ولا التجارب.

التنازع بين أهل الشورى بسبب أن أساس عملهم على تجاربهم، هو يقول كذا هو يقول كذا لأن ما بقيت على العلاقة بالله وقلت التضحيات ، الله ﷻ هو يلهم .. على كل خطوه الله يلهمه كيف يمشي، ما هو الطريق ، فالإلهام على الله لأن الدعوة إلى الله، فالله ألهمها عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأذان، لما حضر الشورى قبل الأذان بالاهتمام ، كيف يجتمع الناس للصلاة بعد رفض الآلات الناقوس والبوق ، لأن هذه الأشياء لإشاعة الدنيا والدعوة لا تمشي أبداً بهذه الآلات الرسمية، الرسول أرسل الكتب والرسائل إلى الملوك بجماعات من

---

١) سورة الشورى _ الآية ٣٨.

الصحابة للدعوة، فنحاول أن نجتنب الآلات ما استطعنا، أكبر ما أفسد الشورى هذه الجولات، هو يطرح رأيه من متجره من شغله، من مصنعه، وما ترك بيئته لهذا، ويقول رأيي كذا بالجوال.

مرة جاء رجل من الأحباب من كندا وسأل الشيخ في أمر بسيط وقال يا شيخ: أنا أرجع اليوم ، فقال الشيخ بشير له: أنت سافرت من كندا إلى هنا ثلاثة أيام بالقطار وترجع ثلاثة أيام لو أرسلت الرسالة ، كم سافرت وكم تعبت، وكم أنفقت الشيخ نذر الرحمن غضب غضبا شديدا، وقال: هذا فهم كلامي فقط بهذا السفر .

فعبد الله بن زيد قام بهذا الفكر لا يأكل ولا يشرب ، متفكر لأن هذه الأشياء قدمناها ما قبلها فكيف نجمع الناس للصلاة، ما نزل الأذان ليلة المعراج، وما أوحي في القرآن الأذان بل ألهم من تفكر وترك طعامه وشرابه، الملك يأذن أمامه في المنام فالنبي يقول له :" فَاخْرُجْ مَعَ بِلالٍ، فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ، وَلْيُنَادِ بِلالٌ "، لماذا ؟ : فَإِنَّهُ أَنْدَى مِنْكَ صَوْتًا" (١)، هذا سبب ظاهري، ولكن أصلا لأن بلال ضحى للتوحيد(أحد ، أحد)، فصار بلال مؤذن الرسول، أصبح أحق من يصدع بالتوحيد في جو السماء.

ما هناك صاحب الرأي أحق به هذا يكون في السياسة.. يعطي الرأي، ومن أنسب للعمل يطرح في الشورى.

---

١) خلق أفعال العباد للبخاري» بَابُ مَا ذكرَ أَهْلِ العِلمِ لِلمُعَطلةِ ...رقم الحديث: ٣٨.

مع الاهتمام نترك الأشياء والمشاغل في الشورى، فالله يلهمه بسبب الشورى فالشورى أكبر عمل اجتماعي مثل الصلاة، الأمة كما تجتمع للصلاة تجتمع للشورى.

على أي شيء نتشاور؟ أحبابنا في المشورة غلبت أمور الحوائج على الجهد أساس مشورتنا ومقصد مشورتنا إقامة الدين، أما ما يتعلق بالحوائج وهذا شيء آخر يتعلق بالجميع، أما ما يتعلق بالدين فهذا خاص بالمؤمنين .

دخلنا مسجد على المحطة، فوجدت بعض الأحباب يجلسون فسألتهم ماذا تفعلون قالوا: نحن جماعة المسجد، قالت: أنتم ما جمعتم كل الناس، فكل أهل المسجد هم جماعة المسجد.

الشورى متعلقة بكل مؤمن لأن الشورى تتعلق بالدين وإقامة الدين، أما متعلق بالحوائج فهذا مع القدماء، أما ما يتعلق بنشر الدين في العالم فهذا في مشورتنا، فنوسع مشورتنا، لأن الشورى هي سبب لاجتماع المسلمين فإذا لم نهتم بالشورى بأصولها هذا سبب تفترق القلوب.. إذا لم نأخذ الرأي تكون هناك فرق وأحزاب.

ونأخذ آراء الأحباب بالاهتمام، فالرأي كالشوكة في القلب فلا بد هذه الشوكة تخرج بالشورى.

نأخذ آراء الأحباب: ماذا رأيكم؟ فردا فردا، لأن أخذ الرأي الله يلهم في قلوب الأحباب بقدر علاقته مع الله عز وجل، وليس على أساس القدماء

والخبرة، فالنبي كان يأخذ الرأي من الشبان ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابُ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كَهُولا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا ، ..." (١).

وليس على أساس الشهرة فعبد الله لم يكن مشهورا ولا قديما، وأحيانا يكون رأي الشاب أقوى من غيره الله يلهم من يشاء من خلقه، فنحن ما ندري تضحيات الناس، وما علاقته بالله ، نحتاج إلى آراء الجميع، ماذا رأيكم ، ماذا رأيكم، الشيخ يوسف(رحمه الله) كان يقول: إذا لم نستشيره كيف نستخدمه؟.

بعدم الاهتمام بالشورى يكون الفصل ثقيلا على الأحباب، لو نفصل بدون الشورى، بدون الشورى يكون الأحباب كالرعايا ، ويكون أهل الفصل كالملوك يصدرون الأمر ، يقولون: افعلوا كذا وافعلوا كذا.

نستصحبهم نستشيرهم نأخذ رأيهم، نوسع الشورى فإنها تعالج القلب.. نستشيرهم ثم نستخدمهم.

رجل وزوجته عندهم بنت فلما كبرت خُطبت فالرجل له أقارب والزوجة لها أقارب ولكن هذا الرجل ما أخبر أحد وما استشار أحد فهو زوج ابنته وهو ولي البنت يزوجها من يشاء ما عليه أن يستشير الجميع، ولكن في يوم الزواج لا يرضى بعمله أحد، فهم يأتي في نفوسهم هي ابنتك تفعل ما تشاء ولكن لو تشاورنا كان أفضل .

---

١) شعب الإيمان للبيهقي» السَّابِعُ وَالخمْسُونَ مِنْ شعَبِ الإِيمَانِ وَهُوَ ... » فصْلٌ فِي تَرْكِ الْغَضَبِ وفي كظم الغيظ والعفو عند ...رقم الحديث:(٧٨٢١).

لا نفصل في شيء حتى نستشير الجميع، لأن الذي لا يحضر في الشورى لعل رأيه أصوب ، هذا في السيرة.

نحن رأينا أن جميع المشاكل بين الأحباب بسبب إخفاء الأمور، وهم يخفون الأمور لأنهم يعلمون أن كثير من الأحباب لا يوافقون على هذا الأمر، في غزوة تبوك جلى للناس أمرهم، فإخفاء الأمور يفرق القلوب فلا نفصل في شيء حتى نستشير الجميع.

هذا موجود في السيرة لما كانت الشورى بين البعض والأمر فيها من بعض الأحباب صار الافتراق في زمنه وفي زمن الخلفاء في خير القرون صار الاختلاف، في زمنه.

سبب الاختلاف العواطف الحسنة في قلوب الأحباب يرون أنهم على الحق ، لأن الاختلاف والتباعد بين الناس بسبب عواطفهم ، نحن رأينا الصحيح وأنتم اعملوا عملكم ونحن نعمل عملنا، والله أنا رأيت الأحباب يفترقون بالعواطف الحسنة لا العواطف السيئة، في الحديبية هذا مظهر التضحية بالعواطف الحسنة، فالصحابة كان عندهم رغبة في العمرة، والعمرة من العبادة ، فلما صالح النبي أهل مكة وأبرم العقد مع سهيل بن عمر، غضب الصحابة، جاء في نفوسهم نحن لا نرجع نحن على الحق، لماذا نقبل الدنية، لماذا لا نقابلهم ولماذا لم نعتمر؟،" قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ (ﷺ) فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى! قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟، قَالَ: بَلَى! قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟ إِذًا قَالَ:" إِنِّي رَسُولُ اللهِ

وَلسْتُ أعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي" قلتُ: أوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ، قَالَ:" بَلَى! فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ " قَالَ: قُلْتُ : لَا ، قَالَ:" فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ" قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلى! قُلتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِيننَا إِذًا ؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ فَوَ اللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ: بَلَى! أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ قُلْتُ: لَا ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ "(١)

والأمر خلاف ذلك، لأننا إذا امتعنا عن الحرام (الزنا والخمر) فهذا الاختبار ليس بكبير، أكبر الاختبار في امتثال أمره عز وجل وأمر نبيه، بترك العواطف الحسنة، ففي الحديبية كان هذا.. أكبر الاختبار.

كان عمر يصر على الاعتمار وكان مصراً على رأيه: قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ : " فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا "(٢).

رأينا أحوال الدول: فالأحباب إلى قسمين بعضهم تركوا العمل بسبب الاحتياط، وبعضهم قالوا : نحن لا نخاف إلا الله وتركوا الحيطة تماما، الحيطة لا تخالف التوكل، فهل الصحابة والعياذ بالله كانوا غير متوكلين كانوا على ذروة التوكل.

---

(١) صحيح البخاري» كتاب الشروط» _ بَاب الشرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (٢٥٨٣).

(٢) المرجع السابق.

مثال: أصحاب الكهف : جماعة من سبعة أفراد (نَّحْنُ نَقصُّ عَلَيْكَ نَبَأهُم بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَة آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطنَا عَلىٰ قلوبِهِمْ) (١).

نصرهم الله بالرعب: (لوِ اطلعْتَ عَلَيْهِمْ لوَلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئتَ مِنْهُمْ رُعْبًا).

وأيدناهم بكلب مثل الأسد : (وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيد).

ومن إكرام الله لهم: (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) (٢).

ومع ذلك لما أرسلوا صاحبهم ليأتي لهم بالطعام أمروه بالتلطف: (فابْعَثوا أحَدَكم بِوَرِقِكمْ هٰذِهِ إلى المَدِينَةِ فلْيَنظُرْ أيُّهَا أزْكَىٰ طعَامًا فلْيَأْتِكم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) (٣).

فالعواطف الحسنة: بسببها الأحباب يخالفون الأمر ولا يمتثلون، لأنهم يتهمون الأحباب أنهم يخافون، لا ، بل نحن تحت الأمر، إما نجد المجال للعمل ، وإما لا نجد.

---

١) سورة الكهف _ الآيتان ١٣ ، ١٤.
٢) سورة الكهف _ االآيتان ١٧ ، ١٨ .
٣) سورة الكهف _ الآية ١٩ .

المرأة المجذومة التي يتساقط أعضائها تطوف بالبيت كم عندها الرغبة في العبادة فتركت الطواف لقول عمر لها فقبلت، وتركت العاطفة الحسنة: مَالِكٌ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِامْرَأَةٍ مَجْذُومَةٍ، وَهِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ. فَقَالَ لَهَا: يَا أَمَةَ اللهِ. لَا تُؤْذِي النَّاسَ. لَوْ جَلَسْتِ فِي بَيْتِكِ. فَجَلَسَتْ. فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهَا: إِنَّ الَّذِي كَانَ قَدْ نَهَاكِ، قَدْ مَاتَ، فَاخْرُجِي. فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُطِيعَهُ حَيًّا، وَأَعْصِيَهُ مَيِّتًا (١).

تركت العاطفة الحسنة من أجل طاعة الأمير حيا وميتا (٢).

ولكن في العمل الاجتماعي حتى العواطف الحسنة كذلك تحتاج إلى الشورى، بعض القدماء لا نستشيرهم ولا يطرحون رأيهم في الشورى الاجتماعية، فبعد الشورى يكون فتنة، يخرج ويبدي رأيه، رأينا كذا وكذا،

---

(١) موطأ الإمام ملك» كتاب الحج» باب جامع الحج» مر عمر بن الخطاب بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت فقال لها يا أمة الله لا تؤذي الناس.

(٢) وَأَمَّا قَوْلُ عُمَرَ لِلمَرْأَةِ: لوْ جَلسْتِ فِي بَيْتِكِ. بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهَا أَنهَا تؤذِي النَاسَ، فإِنَّ ذلِكَ كَانَ مِنْهُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - مِنْ لِينِ الْقَوْلِ لَهَا، وَالتَّعْرِيضِ بِأَنَّهُ لمْ يَكُنْ يَقْدَمُ إِلَيْهَا، وَرَحِمَهَا بِالْبَلَاءِ الَّذِي نزَلَ بِهَا، فَرَقَّ لَهَا، وَكَانَ أَيْضًا مِنْ مَذْهَبِهِ أَنهُ كَانَ لا يَعْتَقِدُ أَنَّ شَيْئًا يُعْدِي، وَقَدْ كَانَ يُجَالِسُ مُعَيْقِيبًا الدَّوْسِيَّ، وَكَانَ عَلَى بَيْتِ مَالِهِ، وَكَانَ يُؤَاكِلُهُ، وَرُبَّمَا وَضَعَ فَمَهُ مِنَ الإِنَاءِ عَلَى مَا يَضَعُ عَلَيْهِ مُعَيْقِيبٌ فَمَهُ (كتاب الاستذكار » كتاب الحج» باب جامع الحج» مر عمر بن الخطاب بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت فقال لها يا أمة الله لا تؤذي الناس).

ومع هذه اللين من أمير المؤمنين استجابت له.

والمفروض كذا وكذا، فتحدث فتنة، الشيخ يوسف قال: بهذا الشكل لو تصل صلاتنا وصيامنا وأعمالنا فوق العرش لم تنزل نصرة الله عز وجل لافتراق القلوب.

عندما لا نهتم باستشارة الجميع يصير الافتراق.

الصحابة في غزوة تبوك : نفذ ما عندهم من الزاد إلا قليلا في أوعيتهم، تأتي العواطف الحسنة : إطعام الطعام وهو عمل محمود ، فأراد الصحابي أن يذبح ولكن أولا فاستأذن النبي، كما أننا إذا حدث شيئا نذهب للأمير، والأمير يرى أنه أمير، ويحق له الفصل، ولكن مسئولية الأمير أن يشاور الجميع ((وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)) (١)، مع أنه جاء في الحديث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) (٢)، قَالَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ): " أَمَا إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ غَنِيَّانِ عَنْهُمَا، وَلَكِنْ جَعَلَهَا اللهُ رَحْمَةً لأُمَّتِي، فَمَنْ شَاوَرَ مِنْهُمْ لَمْ يُعْدَمْ رُشْدًا، وَمَنْ تَرَكَ الْمَشُورَةَ مِنْهُمْ لَمْ يُعْدَمْ عَنَاء "، بَعْضُ هَذَا الْمَتْنِ يُرْوَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ مِنْ قَوْلِهِ، وَهُوَ مَرْفُوعًا غَرِيبٌ (٣).

فالذي يهتم بالشورى يكون على الخير، والذي يخالف الشورى يرى المشاكل والصعوبات في هذا العمل.

---

١) سورة آل عمران _ الآية ١٥٩.

٢) سورة آل عمران _ الآية ١٥٩.

٣) شعب الإيمان للبيهقي» الحَادِي وَالخَمْسُونَ مِنْ شعَبِ الإِيمَانِ وهو _ رقم الحديث: ٧٠٣٠.

الشورى عمل اجتماعي إذا يأتي أمر نؤخره إلا أن نجتمع في يوم كذا ، أو شهر كذا، على مستوى الدولة، إذا اتفقنا على شيء نعمل به، وإذا اختلفنا في شيء نكتب إلى نظام الدين..

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي مَسِيرٍ، قَالَ: فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ، قَالَ: حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ ، فَدَعَوْتَ اللَّهَ عَلَيْهَا، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ، قَالَ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ، قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى؟ قَالَ: كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهَا حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: " أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ "(١).

وفي رواية الإمام أحمد: أن الذي هم بالذبح هم الصحابة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَأَرْمَلَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَاحْتَاجُوا إِلَى الطَّعَامِ فَاسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فِي نَحْرِ الْإِبِلِ فَأَذِنَ لَهُمْ فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ فَجَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِبِلُهُمْ تَحْمِلُهُمْ وَتُبَلِّغُهُمْ عَدُوَّهُمْ يَنْحَرُونَهَا بَلْ ادْعُ يَا رَسُولَ اللهِ بِغَبَرَاتِ الزَّادِ فَادْعُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ قَالَ أَجَلْ قَالَ فَدَعَا بِغَبَرَاتِ الزَّادِ فَجَاءَ النَّاسُ بِمَا

(١) صحيح مسلم» كِتاب الإِيمَانِ » بَاب مَنْ لقِيَ اللهِ بِالإِيمَانِ وَهُوَ غيْرُ ...رقم الحديث: ٤٢.

بَقِيَ مَعَهُمْ فَجَمَعَهُ ثُمَّ دَعَا اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فيه بِالْبَرَكَة وَدَعَا بِأَوْعِيَتِهِمْ فَمَلَأَهَا وَفَضَلَ فَضْلٌ كَثِيرٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) عِنْدَ ذَلِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَّ وَأَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولُهُ وَمَنْ لَقِيَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ بِهِمَا غَيْرَ شَاكٍّ دَخَلَ الْجَنَّةَ(١).

فاستأذنوا النبي والنبي أذن لهم ، ولكن بعد إذن النبي لا يحق لأحد أن يأتي بأمره ويمنع، ولكن سيدنا عمر منعهم، وذهب للرسول وراجع الرسول في الأمر ووافقه النبي، فكيف كانت مكانة رأي الصحابة عند النبي ؟.

ولو واحد يقول لنا أن نغضب عليه ونبعده ونخرجه من التبليغ.. لأن هذا العمل كبرنا ، بدل أن نتواضع كبرنا هذا العمل، إذا سألنا أحد فيما فعلنا نغضب وما نتحمله أبدا.

هذه الأمثلة: لأننا نقول هذا عمل النبوة ، نقول دائما هكذا ولا نهتم به على مزاج النبوة؟

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَبِيدَةَ، قَالَ: " جَاءَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ عِنْدَنَا أَرْضًا سَبِخَةً لَيْسَ فِيهَا كَلَأٌ وَلَا مَنْفَعَةٌ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُقْطِعَنَاهَا لَعَلَّنَا نَحْرُثُهَا وَنَزْرَعُهَا فَلَعَلَ اللَّهَ يَنْفَعُ بِهَا بَعْدَ الْيَوْمِ قَالَ: فَأَقْطَعَهُمَا إِيَّاهَا وَكَتَبَ لَهُمَا كِتَابًا وَأَشْهَدَ وَعُمَرُ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ فَانْطَلَقَا إِلَى عُمَرَ لِيُشْهِدَاهُ فَوَجَدَاهُ قَائِمًا يَهْنَأُ بَعِيرًا لَهُ، فَقَالَا:

(١) مسند أحمد» باقي مسند المكثرين» مسند أبي هريرة رضي الله عنه...رقم الحديث: ٩١٧٠.

إِنَ أَبَا بَكرٍ قدْ أَشْهَدَكَ عَلى مَا فِي هَذا الكِتَابِ أفنَقرَأُ عَلَيْكَ أَوْ تَقرَأُ؟ قالَ أَنَا عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَرِيَانِي فِإِنْ شِئْتُمَا فاقْرَآ وَإِنْ شِئْتُمَا فَانْتَظِرَا حَتَّى أَفرُغَ فَأَقْرَأَ قَالَا: بَلْ نَقْرَأُهُ فَقَرَآ فلَمَّا سَمِعَ مَا فِي الْكِتَابِ تَنَاوَلَهُ مِنْ أَيْدِيهِمَا ثُمَّ تَفلَ فِيهِ فمَحَاهُ فَتَذَمَّرَا وَقَالَا مَقالَةً سَيِّئَةً فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)كانَ يَتَأَلَّفُكُمَا وَالْإِسْلَامُ يَوْمَئِذٍ ذَلِيلٌ، وَإِنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قدْ أَعَزَّ الْإِسْلامَ فاذْهَبَا فَاجْهَدَا عَهْدَكُمَا لَا أَرْعَى اللَّهُ عَلَيْكُمَا إِنْ رَعَيْتُمَا» قالَ: فَأَقْبَلا إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُمَا مُتَذَمِّرَانِ فَقالَا: وَاللَّهِ مَا نَدْرِي أَنْتَ الْخَلِيفَةَ أَمْ عُمَرُ فَقَالَ: بَلْ هُوَ لَوْ كَانَ شَاءَ، فَجَاءَ عُمَرُ مُغْضَبًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي أَفَأَقْطَعْتَهَا هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَرْضٌ لَكَ خَاصَّةً أَمْ هِيَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً؟ قالَ: بَلْ هِيَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَخُصَّ هَذَيْنِ بِهَا دُونَ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ: اسْتَشْرَتُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَوْلِي فَأَشَارُوا عَلَيَّ بِذَلِكَ، قَالَ: آسْتَشَرْتَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ حَوْلَكَ؟ أَكُلُّ الْمُسْلِمِينَ أَوْسَعْتَ مَشُورَةً وَرَضًى؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قدْ كُنْتُ قُلْتُ لَكَ: إِنَّكَ أَقْوَى عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مِنِّي، وَلَكِنَّكَ غَلَبْتَنِي "(١).

وفي رواية: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، أَنَ أَبَا بَكرٍ " قطعَ لِعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ قَطِيعَةَ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا كِتَابًا "، فقَالَ لَهُ طَلْحَةَ، أَوْ غَيْرُهُ: إِنَّا

(١)الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع مِنْ حَدِيثِ يَعْقُوبَ بْنِ سُفيَانَ الفسَوِيِّ ...رقم الحديث:(١٦٣٤)، رواه البيهقي في السنن الكبرى» كتاب قسم الصدقات» بَابُ سُقُوطِ سَهْمِ المُؤلفةِ قلوبُهُمْ وتَرْكِ إِعْطائِهِمْ عِنْدَ ظُهُورِ الإِسْلَامِ، وَالاسْتِغْنَاءِ عَنِ التَّأَلُّفِ عَلَيْهِ (١٢٨٢١) مختصرا .

نَرَى هَذا الرَّجُل سَيَكُونَ مِنْ هَذا الأمْرِ بِسَبِيلٍ، يَعْنِي عُمَرَ، فلوْ أقرَأتَهُ كِتَابَكَ، فأتَى عُيَيْنَةُ عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ كِتَابَهُ، ثمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ عَوْنٍ، وَزَادَ فِيهِ: أَنَّهُ بَصَقَ فِي الْكِتَابِ وَمَحَاهُ، قَالَ: فَسَأَلَ عُيَيْنَةَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُجَدِّدَ لَهُ كِتَابًا، فقَال: وَاللهِ، لا أُجَدِدُ شَيْئًا رَدَّهُ عُمَرُ "(١).

لو نهتم بهذه الأشياء في مشورتنا نتفوق وننال الاتفاق على جماعات العالم.

الباطل لا يجد الطريق لاتفاقنا فيما بيننا، الباطل لا يسكن في هذا الحصن الحصين إلا من هذه الثلمة ولا تسد هذه الثلمة إلا بالاتفاق فيما بيننا مع جميع المكاره، مع جميع المشاكل .

فالشورى لاجتماع القلوب، فربما يكون رأي أحد من الأحباب أفضل من رأينا.

لا نفصل بقوة مكاننا، بل قوة الفصل في اجتماعية الأحباب الله يختار ويشاء ما اجتمع عليه الدعاة « وَيَدُ اللهِّ مَعَ الجُمَاعَةِ » (٢)، « يَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ »(٣). يقال لكل جماعة لها إمام ومأموم ، جماعة.

بعض الناس يرون أن العمل معروف الجولتين التعليم الشورى الزيارات

---

(١)الأموال للقاسم بن سلام» كتاب أحْكامِ الأرَضِينَ فِي إقْطاعِهَا وَإحْيَائِهَا ... (٥٨٧).
(٢) سنن الترمذي» كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » باب ما جاء في لزوم الجماعة(٢١٦٧).
(٣) كتاب السنة لابن أبي عاصم.

في مسجدنا والعمل معروف أنتم تقومون بالعمل عندكم ونحن نقوم به عندنا ليس بصعب فنقوم في مقامنا وأنتم تقومون به في مقامكم.. ولكن هذه الأعمال ليست كالعبادة يقوم بها كل مسجد انفراديا.

آثار الاتفاق وآثار الافتراق الله بين هذا في القرآن : وما بين هذا إلا باسم المسجدين مسجد التقوى(مسجد قباء) ومسجد الضرار.

هذه الأمثال ليست منا اتهاما بل اهتماما وتحذيرا، والتحذير للمؤمنين والاتهام للمنافقين، فعلامة المنافقين تحذيرا للمؤمنين(وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ) (١)، فالكافر كالجمل غير المأنوف، ولهذا قال رسول الله " ...فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ"(٢)(٣).

المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء(٤): فعَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ يَزُورُ قُبَاءً رَاكِبًا وَمَاشِيًا(٥).

---

١) سورة آل عمران _ الآية ٢٨.

٢) سنن ابن ماجة وصححه الألباني.

٣) قال السندي في شرحه على سنن ابن ماجة :قوله (فإنما المؤمن) أيْ شأن المُؤمن تركْ التَّكبُّر وَالْتِزَام التوَاضُع فيكون كالجَمَلِ الْأَنِف أيْ الَّذِي جُعِل الزِّمَام فِي أَنْفه فَيَجُرّهُ مَنْ يَشَاء مِنْ صَغِير وَكَبِير إِلَى حَيْثُ يَشاء حَيْثُمَا قِيدَ أيْ سِيقَ ، وَاَللَّهُ أَعْلَم (ا.هـ).

٤) (قُبَاءٌ) فالصَّحِيحُ المَشهُورُ فِيهِ المَدُّ وَالتذكِيرُ وَالصَّرْف، وَفِي لغةٍ مَقصُورٌ، وَفِي لغةٍ مُؤَنَّثٌ، وَفِي لُغَةٍ مُذَكَّرٌ غَيْرُ مَصْرُوفٍ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ عَوَالِيهَا (صحيح مسلم شرح النووي).

٥) صحيح مسلم» كتاب الحج» باب فضْلِ مَسْجِدِ قبَاءٍ وَفضْلِ الصَّلاةِ فِيهِ وَزِيَارَتِهِ (١٣٩٩).

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ رَاكِبًا وَمَاشِيًا فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ وَكَانَ يَقُولُ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِيهِ كُلَّ سَبْتٍ (١).

وعَنْ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْطَبٍ أَنَّ عُمَرَ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَصَلَّى فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا يَرْفَأُ، ائْتِنِي بِجَرِيدَةٍ. فَأَتَاهُ بِجَرِيدَةٍ فَاحْتَجَزَ عُمَرُ بِثَوْبِهِ ثُمَّ كَنَسَهُ(٢).

في مقابلته: مسجد ضرار: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) (٣).

هم بنوا مسجد ليس كمعبد الكفار ، لماذا ؟ وَإِنَّمَا بَنُوهُ ضِرَارًا لِمَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكُفْرًا بِاللهِ، وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَهُوَ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ: " الرَّاهِبُ " لَعَنَهُ اللهُ ، هذا

---

١) صحيح مسلم شرح النووي» كتاب الحج» باب فضْلِ مَسْجِدِ قبَاءٍ وَفضْلِ الصَّلاةِ فِيهِ وزِيَارَتِهِ.

٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن» كتاب الصلاة» بَابٌ: كنسُ المَسْجِدِ وَالتِقَاطُ الْخِرَقِ وَالْقَذَى وَالْعِيدَانِ.

٣) سورة التوبة _ الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨.

عملنا وهذا عملكم، فالله قال:(لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا) والنبي أمر ببناء المسجد وبين فضلها، وهو بنفسه أمر بإحراق هذا المسجد.

فلما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة: أَقْبَلَ رَسُولُ الله (ﷺ) حَتّى نَزَلَ بِذي أَوَان (١)، وَقَدْ كَانَ جَاءَهُ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضِّرَارِ، جَاءُوا خَمْسَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ: مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ، وثعلبة ابن حاطب، وخذام بْنُ خَالِدٍ، وَأَبُو حَبِيبَةَ بْنُ الْأَزْعَرِ، وَعَبْدُ الله بن نبتل. بن الْحَارِثِ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِنّا رُسُلُ مَنْ خَلْفَنَا مِنْ أَصْحَابِنَا، إِنّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لِذي الْقِلّة وَالْحَاجَة، وَاللّيْلَة الْمُطِيرَة، وَاللّيْلَة الشّاتِيَة، وَنَحْنُ نُحِبّ أَنْ تَأْتِيَنَا فَتُصَلّيَ بِنَا فِيهِ! وَرَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَهّزُ إِلَى تَبُوكَ. قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغْلٍ، وَلَوْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ أَتَيْنَاكُمْ فَصَلّيْنَا بِكُمْ فِيهِ. فَلَمّا نَزَلَ رَسُولُ الله (ﷺ) بِذي أَوَان رَاجِعًا مِنْ تَبُوكَ أَتَاهُ خَبَرُهُ وَخَبَرُ أَهْلِه مِنْ السّمَاءِ، وَكَانُوا إِنّمَا بَنَوْهُ، قَالُوا بَيْنَهُمْ: يَأْتِينَا أَبُو (٢)عَامِرٍ فَيَتَحَدّثُ عِنْدَنَا فِيهِ، فَإِنّهُ يَقُولُ: لَا أَسْتَطِيعُ آتِيَ مَسْجِدَ بَنِي عَمْرِو بن عوف، إنما أصحاب رسول الله يلحوننا بِأَبْصَارِهِمْ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: (وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) (٣) يَعْنِي أَبَا عَامِرٍ. فَدَعَا رَسُولُ الله (ﷺ) عَاصِمَ بْنَ عَدِيّ

---

١) ذو أوان: موضع على ساعة من المدينة. (وفاء الوفا، ج ٢، ص ٢٥٠) .".

٢) أي أبو عامر الراهب الفاسق.

٣) سورة التوبة _ الآية ١٠٧.

الْعَجْلَانِيّ، وَمَالِكَ بْنَ الدّخْشَمِ السّالِمِيّ، فَقَالَ: انْطَلِقَا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ ثم حرّقاه!

فخرجا سريعين على أقدامها حَتّى أَتَيَا مَسْجِدَ بَنِي سَالِمٍ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ الدّخْشَمِ لِعَاصِمِ بْنِ عَدِيّ: أَنْظِرْنِي حِينَ أَخْرُجُ إِلَيْك بِنَارٍ مِنْ أَهْلِي. فَدَخَلَ إِلَى أَهْلِه فَأَخَذَ سَعَفًا مِنْ النّخْلِ فَأَشْعَلَ فِيه النّارَ. ثُمّ خَرَجَا سَرِيعَيْنِ يَعْدُوَانِ حَتّى انْتَهَيَا إِلَيْه بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَهُمْ فِيه، وَإِمَامُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُجَمّعُ بْنُ جَارِيَةَ (١)، فَقَالَ عَاصِمٌ: مَا أَنْسَى تَشَرّفَهُمْ إِلَيْنَا كَأَنّ آذَانَهُمْ آذَانُ السّرْحَانِ (٢). فَأَحْرَقْنَاهُ حَتّى احْتَرَقَ، وَكَانَ الّذِي ثَبَتَ فِيه مِنْ بَيْنِهِمْ زَيْدُ بْنُ جَارِيَةَ بْنِ عَامِرٍ حَتّى احْتَرَقَتْ أَلْيَتُهُ، فَهَدَمْنَاهُ حَتّى وَضَعْنَاهُ بِالْأَرْضِ. وتفرّقوا.

فلما قدم رسول الله [ﷺ] الْمَدِينَةَ عَرَضَ عَلَى عَاصِمِ بْنِ عَدِيّ الْمَسْجِدَ يَتّخِذُهُ دَارًا- وَكَانَ مِنْ دَارِ وَدِيعَةَ بْنِ ثَابِتٍ وَدَارُ أَبِي عَامِرٍ إِلَى جَنْبِهِمَا فَأَحْرَقُوهُمَا مَعَهُ- فَقَالَ: مَا كُنْت لِأَتّخِذَ مَسْجِدًا قَدْ نَزَلَ فِيه مَا نَزَلَ دَارًا، وَإِنّ بى عنه لَغِنًى يَا رَسُولَ اللهِ! وَلَكِنْ أَعْطِه ثَابِتَ بْنَ أَقْرَمَ فَإِنّهُ لَا مَنْزِلَ لَهُ. فَأَعْطَاهُ ثَابِتًا.

وَكَانَ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ قَدْ أَعَانَهُمْ فِيه بِخَشَبٍ، وَكَانَ غَيْرَ

---

١) فى الأصل: «حارثة» ، وما أثبتناه عن كل مراجع السيرة الأخرى..

٢) السرحان: الذئب. (الصحاح، ص ٣٧٤).

مَغْمُوص (١) عَلَيْه فِي النّفَاق، وَلَكنّهُ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ أُمُورًا تُكْرَهُ لَهُ. فَلَمّا هُدِمَ الْمَسْجِدُ أَخَذَ أَبُو لُبَابَةَ خَشَبَهُ ذَلكَ فَبَنَى به مَنْزِلًا، وَكَانَ بَيْتُهُ الّذي بَنَاهُ إِلَى جَنْبِه. قَالَ: فَلَمْ يُولَدْ لَهُ فِي ذَلكَ الْبَيْتِ مَوْلُودٌ قَطّ، وَلَمْ يَقِفْ فيه حَمَامٌ قَطّ، وَلَمْ تَحْضُنْ (٢) فيه دَجَاجَةٌ قَطّ. (٣).

لأن هذا المزاج(مزاج الافتراق) يهلك الحرث والنسل.

وهذه المصائب يتعلق بنا وبغيرنا .. لأن هذا العمل عظيم وليس بسيط.

الداعي مثل الشمس مرتفعة، فكما أن شعاعها يؤثر على كل قطعة من الجبال والأودية والسهول، وهكذا العمل بعماله يؤثر على العالم.

الداعي هو الواسطة بين الله وبين خلقه.. ليس ببسيط هذه المسئولية.

(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (٤).

الإمام إمام الدين، ليس إمام الصلاة، الإمام معناه: نموذج لكمال الدين.

فنترك عواطفنا الحسنة ونتفق ونجتمع ، لأن كل واحد على حاله هو على الحق، فرقتان تدخلان النار وهم على حق فيما ادعياه: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ

---

١) أي غير مطعون فى دينه متهم بالنفاق. (النهاية، ج ٣، ص ١٧١) .
٢) أي لم ترخم عليه للتفريخ. (القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢١٥).
٣) المغازي للواقدي".
٤) سورة البقرة _ الآية ١٢٤.

الْكِتَابَ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (١).

فهم يفترقان مع أنهما على الباطل.. فنحن أحق أن نجتمع لأننا على الحق.. الافتراق كم حرمنا من نصرة الله، والقرآن بين آثار الاتفاق وآثار الافتراق في قصة المسجدين.

فهذا أربعة بينت: اللين والعفو والاستغفار والشورى، هذه الأربعة مثل أعضاء السيارة إذا نقص شيء منها تتأثر السيارة.

ثم نقدم أنفسنا بالصفات لأن الانتخاب ليس من أهل الشورى بل من الله، فإذا تقدم أحد فهو يخسر لأنه مقبول عند الناس وليس مقبول عند الله فيتأخر.. القبول يوضع من السماء إلى الأرض.. القبول بالصفات لا بتجارب الدعوة.

الإنسان يجتهد ولا يأتي فيه الصفات المقبولة فلا يقبل عند الله.

الشيخ يوسف كان يقول: الشمس تتحرك بالنور، والداعي يتحرك بالنور (الصفات)، ولكن مع ظهور الشمس فالحركة مستمرة فيأتي النور، فهذا الاستمرار والحركة مع الصفات مطلوبة لا بد منه، وإلا الرجل يتقدم بالعلاقات الشخصية مع المسئولين، فإن لم يكن له علاقة بالله فيتأخر ويتردى.

عن الْحَسَنَ قَالَ: حَضَرَ بَابَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ سُهَيْلَ بْنُ عَمْرٍو،

---

١) سورة البقرة _ الآية ١١٣.

وَالْحَارِثَ بْنُ هِشَامٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَنَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ تِلْكَ الرُّءُوسِ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلالٌ، وَتِلْكَ الْمَوَالِي الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا(١)، فَخَرَجَ إِذْنُ عُمَرَ فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَتَرَكَ هَؤُلاءِ "، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ قَطُّ، يَأْذَنُ لِهَؤُلاءِ الْعَبِيدِ وَيَتْرُكُنَا عَلَى بَابِهِ وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ رَجُلا عَاقِلا: أَيُّهَا الْقَوْمُ، إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ أَرَى الَّذِي فِي وُجُوهِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ غَضَابَا فَاغْضَبُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، دُعِيَ الْقَوْمُ وَدُعِيتُمْ فَأَسْرَعُوا وَأَبْطَأْتُمْ فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا دُعُوا لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتُرِكْتُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَمَّا سَبَقُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ مِمَّا لا تَرَوْنَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ فَوْتًا مِنْ بَابِكُمْ هَذَا الَّذِي نُنَافِسُهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: وَنَفَضَ ثَوْبَهُ وَانْطَلَقَ، قَالَ الْحَسَنُ وَصَدَقَ وَاللَّهِ سُهَيْلٌ لا يَجْعَلُ اللَّهُ عَبْدًا أَسْرَعَ إِلَيْهِ كَعَبْدٍ أَبْطَأَ عَنْهُ (٢).

التقدم في هذا الجهد بالعلاقة بالله، فهذه المذاكرة اهتماما لا اتهاما.. فنهتم بالأصول ونمشي بالاستقامة على الصراط المستقيم (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (٣) استقاموا: أي استمروا على أوامر الله.. والصراط المستقيم : هو عبادة الله وعبادة الله ليست الصلاة بل نمتثل جميع أوامر الله. فعلاقتنا بين الله وبين الناس، العلاقة بالله عز وجل : الشيخ يوسف كان يقول

---

١) هؤلاء الذين ضحوا وقاموا بمقتضيات الجهد فحق لعمر أن يقدمهم.

٢) الزهد لأحمد بن حنبل » زُهْدُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ...رقم الحديث: ٢٨٠.

٣) سورة فصلت _ الآية ٣٠.

الذي علاقة مع الله عز وجل مع هذا الجهد هو يستطيع أن يفلح في هذا الميدان، والذي علاقته ضعيفة هو لا يستطيع أن يوجه الناس إلى الله.

كما نجتهد في الناس نهتم بالأعمال التي بيننا وبين الله عز وجل (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) (١)، إذا فرغت من الدعوة ، فانصب في العبادة وارغب بالدعاء، والذي ينصب في الدعوة ستكون أدعيته مقبول.. فإن شاء الله نهتم بذلك.. فما أصبت به فمن الرحمن وما أخطأت فيه فمن الشيطان.. وهذه المذاكرة لو تتذاكرون فيما بينكم ما عرضت بينكم ونطلب من الله أن تكون مشورتنا والاجتماعية فيما بيننا تكون قوية وإلا الباطل يؤثر فينا.

للدخول في صفوف المسلمين يبحث هذه الفرجة، فالله يجعلنا ممن يسد هذه الفرج ولا يجعلنا من الأشقياء الذين يفتحون لهم الأبواب ويدخلون في هذه الفرج. مستعدين إن شاء الله.



١) سورة الشرح _ الآيتان ٧ ، ٨.

الصفات الست

التي تحلى بها أصحاب النبي محمد ﷺ

قال تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ [ﷺ]، قال: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ ، وَمَثَلُ الإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي آخِيَّتِهِ يَجُولُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الإِيمَانِ، فَأَطْعِمُوا طَعَامَكُمُ الأَتْقِيَاءَ، وَوَلُّوا مَعْرُوفَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ ."(٢)

إخواني وأحبابي: الله جمعنا في هذا المكان لمقصد عظيم، وبقدر ما نعظم هذا المقصد بقلوبنا نستفيد بقدر ما نقدم ونعظم هذا العمل، وإلا تمر الأيام والأوقات كما مرت فيما مضى، فلا بد أن تكون العظمة واليقين في قلوبنا على هذا العمل.

هذه الفرصة الطيبة واجتماعنا في هذا المكان، ولكن الشيطان عدونا يجتهد ليخفي عنا هذه الفرصة.

النوم من الطبائع البشرية ولكن نجلس بالانتباه قال تعالى:{ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ }(٣) أن الانتفاع بالمحاسن مشروط بالاستماع، الذي يسمع منتبها، متوجه بجميع

---

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨.

(٢) صحيح ابن حبان» كِتَابُ الرَّقَائِقِ » بَابُ التَّوْبَةِ _ رقم الحديث:(٦٢٢).

(٣) سورة الزمر _ الآية ١٨.

أعضاءه حتى يكون هذا مجلس ذكر، بعضهم لما يسمعوا يذكروا، ولكن السامع لا بد له من أن يمتنع عن الكلام، والمذاكرة مهمة، كم من المشاكل تنحل، وكم من المنافع نتحصل لأن هذه الفرصة طيبة.

لا بد من اليقين والبصيرة لهذا الجهد، وإلا يكون الملل في عدم استحضار المقصد، يأتي الملل عن أعمال الدعوة ، وأعمال الدعوة هي أعمال النبوة ، وأعمال النبوة فيها ضمان الهداية { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }(١).

فلابد من استحضار المقصد وأن نتفكر أن هذه الدعوة مسئوليتنا قبل الناس، ومتى نستفيد لما ندعو الناس إلى الله عز وجل.

ونتيقن بأعمال الدعوة، الله جعلها لنجاة الأمة في أي زمان وأي مكان.. نتيقن أن الأمة لن تنجوا أبدا إلا بالدعوة إلى الله، هذه بصيرة: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٢).

البصيرة هي: تغيير اليقين وتغيير البيئة.. لأن التركيز للتذكير، والتذكير مستمر، لماذا لأن الدعوة لأنفسنا كالتاجر يستمر في التجارة ويبيع ، إذا لم يقبل اليوم أحد لا يترك ويجتهد ولا يمل.. فهذه الدعوة لأنفسنا.. والذي يقبل هذا الكلام يفيده ، وإن لم يستفد المدعو.

الداعي لا يستقيم على عمله إلا إذا تيقن به، فعلينا أولا أن نتيقن بهذا العمل.

ننوي بهذا الجهد إصلاح أنفسنا، يقول الشيخ يوسف (رحمه الله) _ وكما وجدنا

---

(١) سورة الشورى _ الآية ٥٢.

(٢) سورة يوسف _ الآية ١٠٨.

في أثار الصحابة والخلفاء الراشدين: الذي يتفكر في هذا السبيل لإصلاح نفسه ، يكون صالحا ، والذي يكون صالحا يكون مصلحا، قال تعالى : (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (١).

فنحنُ خرجنا في سبيل الله واجتمعنا في هذا المكان لإصلاح أنفسنا، فالذي يتفكر في إصلاح غيره، فإذ لم يستجيب له المدعو فيأتي عنده (٢)اليأس، وإذا استجاب له المدعو الذي يريد صلاحه ، يأتي عنده العجب لاستجابة المدعو له، وفي الحالتين خطر على الداعي.

فأهم الشيء نحن خرجنا في هذا السبيل لإصلاح أنفسنا لأن أصل الأصول الدعوة للداعي، أن يتعلق الداعي بالله عز وجل فالله يهديه .

فهذا الجهد لأنفسنا لأن الإنذار للمُنْذِر ، قال تعالى للنبي: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) (٣)، وقالت الأقوام: (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) (٤) أَيْ : سَوَاءٌ عَلَيْنَا فَلَا نَتَّبِعُ وَعْظَكَ ؛ لِأَنَّ هَذَا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (٥). قالت العلماء: ما قال: سواء عليك بل قال سواء عليهم، أي الهداية بيد الله، ولكن الداعي يجتهد لنفسه(وَمَنْ

---

١) سورة البقرة _ الآية ١٢٤.

٢) أي : عند الداعي.

٣) سورة البقرة _ الآية٦.

٤) سورة الشعراء _ الآية١٣٦.

٥) التحرير والتنوير لابن عاشور» سورة الشعراء» قوله تعالى قالوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ.

جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (١)، فنحن نجتهد لأنفسنا فالله فيهدينا قبل الناس، ويستخدمنا ويستعملنا لهذا الخير.

فأصلا الدعوة للداعي فاستحضار هذا المقصد، واستحضار إصلاح أنفسنا فيأتي عندنا الاستمرار .. في بداية العمل نجتهد لأنفسنا ثم بعد ذلك نجتهد للناس وهذا من الخطأ، فالشيخ يوسف كان يقول: لما ينسى نفسه ويغتم لغيره، فهناك لا يترقى، وكلامه ينتقل للآخرين ولكن لم يتقدم ولا يترقى بل يتأخر ، فنجتهد لإصلاح أنفسنا.

ففي هذا الجهد أول ما نحتاج إليه هو الإيمان لأن أساس العمل الإيمان ، الإخلاص في العمل على قدر الإيمان والاستقامة على العمل بقدر الإيمان وحصول الوعد على الإيمان، والأجر والاحتساب بالإيمان فهذه أربعة أشياء مهمة لا نتحصل عليها إلا بالإيمان.. فنتعلم الإيمان في هذا السبيل.

يقول الشيخ إلياس(*رحمه الله*): أنا ما سميت هذا الجهد باسم، ولو سميت لسميته جهد تحريك الإيمان.

لأننا نريد بهذا العمل ترقية الإيمان، ولكن للأسف الناس في الدعوة يرون أن هذه الدعوة للأغيار(٢)، والأغيار وصلت إليهم بطرق مختلفة، فلماذا نحتاج لهذا العمل، لأن الأسباب المادية والآلات المروجة وصلت الدعوة إلى قارات

---

١) سورة العنكبوت _ الآية ٦.

٢) أي غير المسلمين من: اليهود والنصارى والمشركين والمجوس وعبدة الأوثان، وعباد البقر، وغيرهم.

العالم فلماذا نحتاج لهذا العمل ؟!!.

دعوة الإيمان للمؤمن ، فالله يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا) (١)، معناه أن الإيمان يترقى بدعوة الإيمان، الصحابة لما أمروا بتجديد الإيمان، قَالُوا: كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: "قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"(٢)

هذه كلمة لا إله إلا الله بذكر هذه الكلمة، الحمد لله الناس ذاكرين هذه الكلمة وقائلين لهذه الكلمة وعارفين الأجر والاحتساب لهذه الكلمة، وعالمين بمكانة الكلمة عند الله، ومتيقنين أن النجاة بهذه الكلمة، فضائلها معروفة، ولكن كيف يزداد الإيمان، وكيف نتحصل إخلاصها؟.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (ﷺ) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ [ﷺ]: مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ: " إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ؛ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْإِثْمُ ؟ قَالَ: " إِذَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعْهُ " رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣) والحاكم. (٤) .

مثل هذه العلامات الإيمانية لما نتفكر بها نجد أن الإيمان الذي يمنع المؤمن من ارتكاب الحرام.

أكثروا من قول لا إله إلا الله: ما معنى هذا ؟

---

١) سورة النساء _ الآية ١٣٦.

٢) مسند الإمام أحمد.

٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» كتاب الإيمان٤٥.

٤) المستدرك على الصحيحين» كتاب البيوع» إذا سَرَّتكَ حَسَنَتكَ وَسَاءَتكَ سَيِّئَتكَ فأنت مُؤْمِنٌ _ رقم الحديث (٢٢١٧).

كان الصحابة يقومون بالحلقات الإيمانية ، فكان فعبد الله بن رواحة ومعاذ كانوا يجمعون الصحابة للحلقات الإيمانية فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كان عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ إذا لقِيَ الرَّجُل مِنْ أصْحَابِهِ، يَقول: تَعَال نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَة، فقال ذاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ: فغَضِبَ الرَّجُل، فجَاء إلى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا تَرَى إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ يُرَغِّبُ عَنْ إِيمَانِكَ إِلَى إِيمَانِ سَاعَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تُبَاهِي بِهَا الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمْ السَّلَام(١).وورد ذلك أيضا عن معاذ كما في مشكاة المصابيح.

لما سمعنا وقرأنا بيانات الشيخ يوسف وجدنا خلاصة بياناته الآتي:

أربعة أسباب لتقوية الإيمان:

١. قدرته سبحانه في ذاته وما بين السماء والأرض هذه كلها مظاهر قدرته، ولكن قدرته في ذاته، والذي يبحث عن قدرته في غير ذاته لا يستفيد منه أبدا، وهذه الأشياء المادية كلها مظهر قدرته وهو غير لا يحتاج إليها أبدا، بل للاستفادة من قدرة الله مباشرة لا نقول نترك هذه الأسباب لأن التسبب لا يخالف التوكل، الذي ما دخل في الأسباب ما دخل في الاختبار، لأن جميع الأسباب للاختبار { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ

---

١) مسند أحمد بن حنبل» مُسْنَدُ العَشَرَةِ المُبَشرِينَ بِالجَنَةِ ... » بَاقِي مُسْنَد المُكثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ _ رقم الحديث: ١٣٥٢٥، المقصد العلي في زوائد مسند أبي يعلى الموصلي _ باب في مجالس الذكر.

عَمَلًا }(١) الإنسان لا يستغنى عن الأسباب أبدا، ولكن لا يتوكل عليها، ولا يرجو بها، بل يتوكل على الله ويرجو من الله، والأسباب المادية كلها للاختبار، الأسباب المادية ما هو من الحلال لا نتيقن بها أبدا ، الشيخ يوسف (رحمه الله) كان يقول، الأسباب على ثلاثة أقسام : أسباب مادية محرمة ، أسباب مادية حلال، أسباب إيمانية الأعمال، لأنه وعدنا بالأعمال، وما وعدنا بالأسباب ،وعده بالأعمال، وقدرته بالوعد والوعد بالأعمال وقدرته بالوعد عليه ، والذي يقدم الأعمال على الأسباب ، يستفيد من خزائن الله تعالى.

ترك الأسباب تماما هذا خلاف الترتيب، لأنه تيقن، الله سبحانه قادر أن يغنيه عن الأسباب كما رزق الصحابة وأغناهم، هذا من الله { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا }(٢) ، لكن هو يدعي أنه لا يتسبب.. هذا خلاف الترتيب، فالله قادر أن يغنيه عن الأسباب وقد فعل فيما مضى.

أحبابنا الكرام: أولا نبين قدرة الله عز وجل، وقدرة الله في ذاته، وأن هذه الكائنات وما فيها فقط للتعرف على الله عز وجل، الله يقول { أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ

---

١) سورة الكهف _ الآية ٧.

٢) سورة الطلاق _ الآيات من ٢ : ٣.

نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فذكِرْ إِنَمَا أنتَ مُذكِرٌ }(١)، كل هذه الأشياء تدل على الصانع، تذكير{ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ}(٢)، وفي الحديث: عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ – صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :" إِن اللهَ خَالِقُ كل صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ " (٣).كما كان إبراهيم لما رأى الكوكب والقمر والشمس هذا ربي هذا ربي { وَكذلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكون مِنَ الْمُوقِنِينَ * فلمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَيْلُ رَأى كَوْكَبًا قَالَ هَـــذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـــذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـــذَا رَبِّي هَـــذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }(٤) هذه الأشياء للوصول إلى الله عز وجل، وليست الأشياء للاستفادة من قدرة الله.. فأول سبب لزيادة الإيمان ندعو الناس إلى حقيقة كلمة لا إله إلا الله ثم:

السبب الثاني: أن نُبين قصص الأنبياء وما يتعلق بالنصرة الغيبية لأن هذه القصص كلها لتثبيت القلوب، (وَكُلاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا

---

١) سورة الغاشية _ الآيات من ١٧ : ٢١.

٢) سورة الغاشية _ الآية ٢١.

٣) المستدرك على الصحيحين» كتاب الإيمان» إِنَّ اللهَ خالِق كل صَانِعٍ وَصَنعَتِهِ (٩٣).

٤) سورة الأنعام _ الآيات من ٧٥ : ٧٩.

نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) (١) ، ولكن الأحوال الذي تأتي عليه من الأعداء، الله لتثبيت قلبه يقص عليه قصص الأنبياء ليثبت قلبه (لا يستخفنك) مع يقينه وتوكله وعلاقته بالله ومع ذلك نزول الوحي عليه فما بالنا؟.

وإلا لما نتأثر بغير الله، فلما نذاكر في الأحوال التي تأتي من الأغيار نتأثر بها، إما نمتثل أوامرهم _ الصحابة _ شوقا إليهم، أو خوفا، وأن هذه النصرات الغيبية فقط كانت في زمن الأنبياء والصحابة ، وهذا الظن حسب الإيمان، مع ضعف الإيمان نسيء الظن، ومع زيادة الإيمان نحسن الظن بالله ، فإبراهيم لما ألقي في النار كان ظنه بحفاظة الله.. فجبريل كلمته فوق كل المخلوقات، لكن ظن إبراهيم كان فوق طاقته لما أتى ملك البحار، قال له: أما إليك فلا (**حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**)، فالله ما استعمل أي سبب ، فالله أمر النار رأسا وما استعمل أي سبب لإطفاء النار { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ}(٢) .

وأبو الدرداء عندما أخبر أن بيته قد احترق ماذا قال؟ قال كلام في قمة اليقين: عَنْ طَلْقٍ قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ : يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ احْتَرَقَ بَيْتُكَ ؟ قَالَ: مَا احْتَرَقَ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ: مَا احْتَرَقَ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا

---

١) سورة هود _ الآية ١٢٠.
٢) سورة الأنبياء _ الآية ٦٩.

احْتَرَقَ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فقال: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، انْبَعَثتِ النَّارُ حَتَّى انْتَهَتْ إِلى بَيْتِكَ طَفِئَتْ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ، قَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا نَدْرِي أَيُّ كَلامِكَ أَعْجَبُ ؟ قَوْلُكَ: مَا احْتَرَقَ، أَوْ قَوْلُكَ: قَدْ عَلِمْتَ أَنْ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ قَالَ: ذَاكَ لِكَلِمَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ [ﷺ] مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُصْبِحُ لَنْ تُصِيبَهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُمْسِيَ: " اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلهَ إِلا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَلتُ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١) . وكأنه يقول عندي خبر وأنتم عندكم نظر.. والخبر مقدم عندي على النظر.

الدعاء للعبادة وجعلنا الدعاء لنتسبب بها(الدعاء هو العبادة).

ثم نتيقن بنصرة الله ولا نقول هذا كان في زمن الأنبياء والصحابة، ولكن النصرة على قدر الضعف والأجر على قدر الضعف (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (٢) والنصرة ليست بالزمان ولا بالمكان، إنما النصرة بالأعمال في أي زمان وأي مكان، لما نعمل الأعمال ونتيقن بها الله يعطينا النصرة ، كما أعطاها للصحابة، فلابد أن نبين نصرة الأنبياء

---

١) الأسماء والصفات للبيهقي _ رقم الحديث(٣٥٠)، .

٢) سورة غافر _ الآية ٥١.

ونصرة الصحابة الغيبية.

الشيخ يوسف: في نهاية حياة الصحابة جمع التأييدات الغيبية، لو تكون أعمالنا عبادتنا ومعاملاتنا ومعاشراتنا ودعوتنا وأخلاقنا مثل الصحابة فهذه النصرات الغيبية التي في آخر حياة الصحابة تكون لنا.

ولهذا نحفذ دائما الأحباب في نظام الدين لقراءة حياة الصحابة، لأن الشيخ يوسف جمع كل ما يريد في حياة الصحابة.

لما قيل للشيخ يوسف أنت تجمع أصول الدعوة في كتاب، قال الشيخ: لست أسوة، الأسوة فقط محمد رسول الله ﷺ وأصحابه وما كتب شيء من عنده بل جمع هذه القصص ووضع لها العناوين، وهذه العناوين لنا مثل اللافتات التي تكون على بدايات الطرق والشوارع، فلا بد من استحضار قصص الأنبياء والصحابة حتى نتيقن نصرة الله الغيبية ونستفيد من خزائن الله.

الشيء الرابع: أن نتيقن الإيمان والعلامات الإيمانية، لأن من لم يستحضر العلامات الإيمانية هو مؤمن ولكن عمله خلاف إيمانه .. لا يغتم لسيئاته ولا يسر لحسناته.. لما قدمَ وَفدِ الأزْدِ عَلى رَسُولِ اللهِ [ﷺ] سألهم عن حقيقة الإيمان: فعَن سُوَيْدِ بْنِ الحَارِثِ، قالَ: وَفدْتُ عَلى رَسُولِ اللهِ [ﷺ] سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ قوْمٍ أبَايعُهُ فلمَّا دَخلَنا عَليْهِ، وَكلَمْنَاهُ أعْجَبَهُ مَا رَأى مِنْ سَمْتِنَا وَزِيِّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ [ﷺ]: "مَا أَنْتُمْ ؟" فَقُلْنَا: مُؤْمِنُونَ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ [ﷺ] وَقَالَ: " لِكُلّ قوْلٍ حَقِيقَةٌ فمَا حَقِيقَةُ قوْلِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ "؟

قالَ سُوَيْدٌ: فقلتُ: خَمْسَ عَشْرَة خَصْلة، خَمْسَة مِنْهَا أمَرَتْنَا رُسُلكَ أنْ نُؤْمِنَ بِهَا، وَخَمْسَةٌ مِنْهَا أَمَرَتْنَا رُسُلُكَ أَنْ نَعْمَلَ بِهَا، وَخَمْسَةٌ مِنْهَا تَخَلَّقْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَنَحْنُ عَلَيْهَا إلا أَنْ تَكْرَهَ مِنْهَا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "فَمَا الْخَمْسَةُ الْخِصَالُ الَّتِي أَمَرَتْكُمْ رُسُلِي أَنْ تُؤْمِنُوا بِهَا؟" قُلْنَا: أَمَرَتْنَا رُسُلُكَ أَنْ نُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، قَالَ: "فَالْخَمْسَةُ الْخِصَالُ الَّتِي أَمَرَتْكُمْ رُسُلِي أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا؟" قُلْنَا: أَمَرَتْنَا رُسُلُكَ أَنْ نَقُولَ جَمِيعًا لا إِلَهَ إلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ نُقِيمَ الصَّلاةَ وَنُؤْتِي الزَّكَاةَ وَنَحُجَّ الْبَيْتَ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَنَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: "فَمَا الْخَمْسَةُ الْخِصَالُ الَّتِي تَخَلَّقْتُمْ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟" قَالَ: قُلْتُ: الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالصِّدْقُ فِي مَوَاطِنِ اللِّقَاءِ، وَالرِّضَا بِمَوَاقِعِ الْقَضَاءِ، وَتَرْكُ الشَّمَاتَةِ بِالْمَصَائِبِ إذا حَلَّتْ بِالأَعْدَاءِ، قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ: "أُدَبَاءُ حُلَمَاءُ عُقَلاءُ فُقَهَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، مِنْ خِصَالٍ مَا أَشْرَفَهَا وَأَزْيَنَهَا وَأَعْظَمَ ثَوَابَهَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُوصِيكُمْ بِخَمْسِ خِصَالٍ لِتَكْمُلَ عِشْرِينَ خَصْلَةً" قُلْنَا: أَوْصِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ فَلا تَجْمَعُونَ مَا لا تَأْكُلُونَ، وَلا تَبْنُونَ مَا لا تَسْكُنُونَ، وَلا تَنَافَسُونَ فِي شَيْءٍ عَنْهُ غَدًا تَزُولُونَ، وَارْغَبُوا فِيمَا عَلَيْهِ تُقْدِمُونَ وَفِيهِ تَخْلُدُونَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَعَلَيْهِ تُعْرَضُونَ"، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ: وَانْصَرَفَ الْقَوْمُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ [ﷺ]، وَقَدْ

حَفِظُوا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَعَمِلُوا بِهَا. "(١).

بهذه الصفات كادوا أن يكونوا أنبياء، فنحن نبين هذه الصفات الإيمانية حتى تأتي فينا ، فعَنْ عبد الله بن سلمة ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى معاذ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فَجَعَلَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَبْكِي لِقَرَابَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَلَا لِدُنْيَا كُنْتُ أُصِيبُهَا مِنْكَ، وَلَكِنْ كُنْتُ أُصِيبُ مِنْكَ عِلْمًا فَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدِ انْقَطَعَ، قَالَ: فَلَا تَبْكِ فَإِنَّهُ مَنْ يُرِدِ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ يُؤْتِهِ اللهُ تَعَالَى كَمَا آتَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ عِلْمٌ وَلَا إِيمَانٌ(٢) .

شعور حاجتنا للعلم والإيمان فالله [ﷻ] يرزقنا العلم والإيمان.

بهذا اليقين لما نقوم بالعبادات (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (٣)، الذي يقيم الصلاة الذي يتقين بالوعد، لأن الوعد بالصلاة والذي يتيقن بالأسباب المادية إما يضيع الصلاة ، وإما يترك

---

١) أخرجها أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء _ ترجمة أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ (١٤٤١٤)، وأَبُو نُعَيْمٍ فِي " مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ " بِسَنَدِهِ كَمَا فِي " زَادِ المَعَادِ " (٦٧٢/٣ – ٦٧٣) لِلإِمَامِ ابْنِ القيِّم، وَالحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي " تَارِيْخِ دِمَشْقَ " (١٩٨/٤١ – ٢٠١) عِنْدِ تَرْجَمَةِ عَلْقَمَةَ بن يَزِيْدَ بن سُوَيْدٍ الأَزْدِيِّ ، وَابْنُ الأَثِيْرِ فِي " اسْدِ الغابَةِ " (٤٨٧/٢ – ٤٨٨) عِنْدِ تَرْجَمَةِ سُوَيْدِ بن الحَارِثِ ، وَالحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ فِي " البدَايَةِ وَ النهَايَةِ " (٩٤/٥) ، وَالحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي " الإِصَابَةِ " (١٥١/٣) عِنْدِ تَرْجَمَةِ سُوَيْدِ بن الحَارِثِ .

٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» المهاجرون من الصحابة» معاذ بن جبل» أخبار في الحكمة والموعظة مسندة عنه.

٣) سورة البقرة _ الآية ٣ .

الصلاة ويقدم الأسباب المادية على الصلاة، إقامة الدين موقوف على إقامة الصلاة، لأن الصلاة القائمة، إخلاصها موقوف على إخلاص الكلمة الطيبة: فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ [ﷺ]: " مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ "، قِيلَ: وَمَا إِخْلاصُهَا ؟ قَالَ:" أَنْ تَحْجُزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " (١) .

وعن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ صُهَيْبًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ [ﷺ]، يَقُولُ: «مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ»(٢).

هذا قال للذي اغتاب عنه ، فهذه الكلمة تحجزنا عن محارم الله، إن الصلاة تنهي معناه حقيقة الصلاة، فالذي يفعل المنكرات مع أنه يصلي.

الشيخ يوسف كان يجلس على سفرة الطعام، كان أحد الأحباب يحمل صحن فيه المرق فلما مشى به فسقط منه قليل من المرق، فالشيخ يوسف(رحمه الله) رآه من بعيد، وقال: يا رجل انتبه في صلاتك، فوضع الصحن وجاء عند الشيخ ، وقال: يا شيخ ، أنا ماشي والإناء ليس عميق فوقع منه قليل من المرق فما علاقة هذا بالصلاة، قال: الأعضاء كلها إذا استقامت في الصلاة لا تخطأ في دينه ولا في دنياه، فإذا لا نهتم بهذه الأعضاء في الصلاة فخارج الصلاة لا نستعملها في محلها.

---

١) المعجم الأوسط للطبراني» بَابُ الْألِفِ» مَنِ اسْمُهُ أَحْمَدُ _ رقم الحديث:(١٢٥٨).
٢) سنن الترمذي _ رقم الحديث: (٢٨٦١)، المعجم الأوسط للطبراني» بَابُ الْعَيْنِ» مَنِ اسْمُهُ : عَبْدُ اللَّهِرقم الحديث: (٤٥٠٢) وغيرهما.

فعلينا أن نخلص في هذه الصلاة ، قال تعالى: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (١) .

قال العلماء: ومعناه الصلاة التي تنهانا عن الفحشاء والمنكر، هذه الصلاة ذكر أكبر.

وعَنْ الْحَسَنِ(٢) قَالَ : مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا ". **رواه الطبراني.**

وهذا يحتاج إلى التغيير، عنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ قَالَ :" كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِي (ﷺ) ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ . فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: مَنِ الْمُتَكَلِّمُ؟ قَالَ: أَنَا. قَالَ: رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا ، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ " رواه البخاري .

علينا أن نتمرن على هذه الصلاة حتى تكون الصلاة قائمة وكما نحن نحتاج إلى حقيقة الكلمة نحتاج إلى حقيقة هذه الصلاة ونقدمها على جميع الأسباب، في جميع الحوائج وجميع المشاكل، وفي جميع الأحوال.

وكيف تكون حقيقة الأعمال في قلوبنا، وهذه الأعمال تحتاج إلى قيمتها،

---

١) سورة العنكبوت _ الآية ٤٥.

٢) ويروى عن ابن مسعود.

وقيمة الأعمال الوعد من الله عز وجل ، ومن لم يتيقن بها لم يبالي بأي عمل، لأن الرجل غذا اشترى شيئا من الدكان هو يعرف قيمته فلما يعرف قيمته يستعمله حسب قيمته، والذي لا يعرفه يضيعه.

فنجلس في حلقات التعليم ففضائل الأعمال هي الوعد فنتيقن بها، ونجلس متوضئين، ونقرأ الحديث ثلاثا: فعَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا(١).

نجلس في حلقة التعليم حتى نتيقن بهذا الوعد، لأننا نريد حقيقة العلم.

العلم على قسمين: كلمة لا إله إلا الله إخلاصها وألفاظها.

وَعَنِ الْحَسَنِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، قَالَ : الْعِلْمُ عِلْمَانِ : فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ابْنِ آدَمَ . رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ (٢) .

العلم علمان: الفضائل وعلم المسائل.

حسن الصلاة هذا يأتي بعلم المسائل لأن الناس يصلون ولا يقومون بها عَنْ حُذَيْفَةَ ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلا يُصَلِّي فَطَفَّفَ ، فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ : " مُنْذُ كَمْ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلاةَ ؟ " ، قَالَ : مُنْذُ أَرْبَعِينَ عَامًا ، قَالَ : " مَا صَلَّيْتَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ،

---

١) صحيح البخاري» كتاب العلم» باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه(٩٥).

٢) مشكاة المصابيح» كتاب العلم(٢٧٠)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر» بَابُ ذَمِّ الفاجِرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَذَمِّ طَلَبِ ...رقم الحديث: ٧٥١.

وَلَوْ متَّ وَأَنْتَ تُصَلِّي هَذه الصَّلاةَ لَمتَّ عَلَى غَيْرِ فطْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ الرَّجُلَ لَيُخفُّ ، وَيُتِمُّ وَيُحْسِنُ " (١).

فعلينا أن نتمرن في جميع الأعمال.. علم المسائل في مجالس العلماء، لأنهم الواسطة بين الله وخلقة، والصحابة تعلموا بالصحبة، فالقراءة في الكتاب لا يكفي، الشيطان يبعدنا عن العلماء فيقول هذا العالم كذا وكذا.

ومن العبادة إكرام العلماء.. نستفيد من علمهم، مرة كنا في الحج وفي الحرمين بعد المغرب هناك الحلقات(حلقات الفقه، مناسك الحج)، فمرة كنت جلست في حلقة والعالم بين بيان في مناسك الحج بعد ذلك ووقع في التبليغ وبين بيان خلاف هذا الجهد، ثم تكلم قليل الشيخ يوسف الأحباب وبين كلام لا ينتقل ولا يبين، ولما انتهى البيان بأذان العشاء قلت للتلميذ للذي بجواري من هذا الشيخ استفدنا كثيرا من هذا الشيخ ما سمعنا مثل كلامه، بارك الله في عمره ما سمعنا مثل هذا، ولكن تكلم في التبليغ، ولما رآني بهذا القميص قال من أين أنت؟ قلت : من نظام الدين. قال من جماعة التبليغ ؟ قلت: نعم من جماعة التبليغ. قال هل تعرف الشيخ إلياس، قالت: أنا حفيده، هو ما تيقن قال الذي معه تحلف بالله! قلت: نعم، هو سكت واستغرب. هو قال: أنت تجلس من البداية إلى النهاية، قلت: نعم سمعت كله. ودعوت له، كان متبحراً في علمه، بعد ما قام الشيخ من على الكرسي ومعه تلميذه الذي يقرأ عليه مشى معه،

---

١) السنن الكبرى للنسائي» كِتابُ السَّهْوِ» تطفِيف الصَّلاةِ _ رقم الحديث: (٦٠٢).

وأخبره بما قال، وبما فعلت، اليوم الثاني في جلست في هذا الوقت ، جئت قبل المغرب ووجدت مكان خالي وجلستُ فيه، الأحباب قالوا: اليوم عليكم مذاكرة، قلت : لا ، وجاء الشيخ والله لما رآني ، ـ وكان في الأمس قد تكلم في مشايخ هذا العمل وأنهم مبتدعين وكذا وكذا ـ فأول ما رآني عانقني وجلس على الكرسي وأول قال: قال : هذا العمل عمل الدعوة لا نجاة إلا به، الشيخ يوسف كان يقول: الداعي لما يتحمل في هذا السبيل فالله يجعله سببا لهداية المدعو.

علينا أن نتحمل، فهذا زيد بن سعنة ماذا فعل مع رسول الله ؟، عن مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ سَلَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ اللهَّ تَعَالَى هُدَى زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : مَا مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ [ﷺ] حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أُخْبَرْهُمَا مِنْهُ : يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا ، فَكُنْتُ أَلْطُفُ لَهُ لِأَنْ أُخَالِطَهُ فَأَعْرِفُ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ .

قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللهَّ [ﷺ] يَوْمًا مِنَ الْحُجُرَاتِ وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِنَّ بُصْرَى قَرْيَةَ بَنِي فُلَانٍ قَدْ أَسْلَمُوا وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ ، وَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وَشِدَّةٌ وَقُحُوطٌ مِنَ الْغَيْثِ ، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللهَّ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا ، فَإِنْ

رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ ، فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ أَرَاهُ عَلِيا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ إِلَى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : " لَا يَا يَهُودِيُّ ، وَلَكِنِّي أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يُسَمِّي حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ " قُلْتُ: نَعَمْ، فَبَايَعَنِي فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ، فَقَالَ: " أَعْجِلْ عَلَيْهِمْ وَأَعِنْهُمْ بِهَا " ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحِلِّ الْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لُمْطُلٌ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ ، وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَإِذَا عَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ ، وَقَالَ: يَا عَدُوَّ اللهِ تَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ [ﷺ] مَا أَسْمَعُ ، وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ قُوَّتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ . وَرَسُولُ اللهِ [ﷺ] يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤْدَةٍ وَتَبَسُّمٍ ، ثُمَّ قَالَ: " يَا عُمَرُ ، أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَأَعْطِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ ". قَالَ زَيْدٌ : فَذَهَبَ بِي عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَأَعْطَانِي حَقِّي وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ [ﷺ] أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ ،

قُلْتُ: وَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ ؟ قَالَ: لَا ، مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ ، قَالَ : الْحِبْرُ ؟ قُلْتُ : الْحِبْرُ ، قَالَ : فَمَا دَعَاكَ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللهِ [ﷺ] مَا فَعَلْتَ وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ ؟ قُلْتُ : يَا عُمَرُ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ عَرَفْتُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ [ﷺ] حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أُخْبَرْهُمَا مِنْهُ : يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا ، فَقَدِ اخْتَبَرْتُهُمَا ، فَأُخْبِرُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ [ﷺ] نَبِيًا ، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي – فَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالًا – صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ [ﷺ] ، فَقَالَ عُمَرُ : أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ ، فَإِنَّكَ لَا تَسَعُهُمْ ، قُلْتُ : وَعَلَى بَعْضِهِمْ ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ [ﷺ] ، فَقَالَ زَيْدٌ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً ، ثُمَّ تُوُفِّيَ زَيْدٌ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . (١).

فعلينا أن نستفيد من العلماء ونزورهم ونتعلم العلم ،لأن العمل مردود بالرياء مردود بالجهالة كذلك، علم المسائل وعلم الفضائل نتعلم، نتعلم الوعد باليقين، نسمع باليقين ونعمل باليقين، ونقوم بالأعمال باليقين.

---

١) المعجم الكبير » الأحاديث الطوال »إِسْلَامُ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٦)، السنن الكبرى» كتاب التفليس» باب ما جاء في التقاضي(١٠٩٨١)، المستدرك على الصحيحين» كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم» ذِكْرُ إِسْلَامِ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَحِلْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (٦٦٠٦)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» كتاب علامات النبوة» باب ما كان عند أهل الكتاب من أمر نبوته صلى الله عليه وسلم(١٣٨٩٨).

نذكر الله ولكن لا نذكر بدون توجه، الشيخ إلياس كان يقول: لما نذكر الله بدون استحضار فيأتي الملل، لأن استحضار هو المطلوب، لما تذكر الله يكون لسانك تابع لقلبك، الله لا يقبل عمل المؤمن إلا بحضور قلبه ، يعني قبول العمل بحضور القلب.

علينا أن نهتم بحلقات التعليم، ونقيم حلقات التعليم بالمسجد ونجمع الناس للحلقة، أبو هريرة إمام المحدثين يتجول بنفسه ليجمع الناس للتعليم: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ بسوق الْمدينة فَوقَفَ عليها، فقَالَ يَا أَهْلَ السُّوقِ مَا أَعْجَزَكُمْ؟ قَالَوا: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وسلم يُقْسَمُ، وَأَنْتُمْ هَا هُنَا ألا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ. قَالَوا: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجُوا سِرَاعًا وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا فَقَالَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ؟ فقَالَوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا فيه فَلَمْ نَرَ فيه شَيْئًا يُقْسَمُ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: ومَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا؟ قَالَوا: بَلَى، رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ، وَقَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا يَتَذَاكَرُونَ الْحَلالَ وَالْحَرَامَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَيْحَكُمْ فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم. رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي الأَوْسَطِ بإسنادٍ حَسَنٍ.

يتجول في السوق جولة تعليمية فكل يوم أقل القليل ساعتين ونصف يوميا.. يتجولون ويأتون بالناس لحلقة التعليم.

نتجول حتى يأتي في قلوبنا اليقين على هذا الوعد .. لكل عمل فضائل..

مثلا غسل يوم الجمعة.

الشيخ يوسف(رحمه الله) كان يقول: لما نكون مع الناس نتذاكر الفضائل، ولما أكون منفردا نستحضر الفضائل قبل العمل.

لما نقوم بهذه الأعمال بهذه الكيفية نتعلق بالله، فالله يصلح بيننا وبين الناس، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ عُبَيْدِ اللهَّ الْجُزَرِيِّ قَالَ: كَانَتِ الْعُلَمَاءُ إِذَا الْتَقَوْا تَوَاصَوْا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَإِذَا غَابُوا كَتَبَ بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ أَنَّهُ: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُّ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهَّ كَفَاهُ اللهُّ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنِ اهْتَمَّ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللهُّ أَمْرَ دُنْيَاهُ (١).

والذي لا يؤدي حق الله لا يؤدي حق الناس، لأنه في أعماله الانفرادية لا يهتم بالمعاملات، المعاملات فوق العبادات.. الإنسان خلق للعبادة (وَمَا خَلَقتُ الجِنَ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ) (٢)، ولكن في كسب الحرام لا يبالي، وفي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ "إِنَّ اللهَّ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَّ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا"، وَقَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ" ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى

---

١) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا» رقم الحديث: ٢٢.

٢) سورة الذاريات _ الآية ٥٦.

يُسْتَجَابُ لَهُ؟". (١).

الشيخ يوسف كان يقول: هذه اللقمة التي نأكلها يراها الناس بسيطة وكل الوساوس الفاسدة بسبب الأكل الحرام.

مقصد الإيمان التقوى والتقوى تمنع من الحرام، فعَنْ زَيْد بْنِ أَرْقَمَ ، قَالَ: كَانَ لأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ مَمْلُوكٌ يَغُلُّ عَلَيْه، فَأَتَاهُ لَيْلَةً بِطَعَامٍ فَتَنَاوَلَ منْهُ لُقْمَةً، فَقَالَ لَهُ الْمَمْلُوكُ: مَا لَكَ كُنْتَ تَسْأَلُنِي كُلَّ لَيْلَة وَلَمْ تَسْأَلْنِي اللَّيْلَةَ ؟ قَالَ: حَمَلَنِي عَلَى ذَلكَ الْجُوعُ، منْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَذَا ؟ قَالَ: مَرَرْتُ بِقَوْمٍ فِي الْجَاهلِيَّة فَرَقيتُ لَهُمْ فَوَعَدُونِي ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْيَوْمُ مَرَرْتُ بِهِمْ فَإِذَا عُرْسٌ لَهُمْ فَأَعْطَوْنِي، قَالَ: إِنْ كِدْتَ أَنْ تُهْلكَنِي، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي حَلْقه فَجَعَلَ يَتَقَيَّأُ ، وَجَعَلَتْ لا تَخْرُجُ ، فَقيلَ لَهُ: إِنَّ هَذه لا تَخْرُجُ إِلا بِالْمَاء ، فَدَعَا بِطَسْت منْ مَاء فَجَعَلَ يَشْرَبُ وَيَتَقَيَّأُ حَتَّى رَمَى بِهَا ، فَقيلَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ ، كُلُّ هَذَا منْ أَجْلِ هَذه اللُّقْمَة، قَالَ: لَوْ لَمْ تَخْرُجْ إِلا مَعَ نَفْسِي لأَخْرَجْتُهَا ، سَمعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ، يَقُولُ : " كلَ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فالنَّارُ أَوْلى بِهِ " ، فَخَشِيتُ أَنْ يَنْبُتُ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِي مِنْ هَذِهِ اللقمَةِ (٢).

فيا أحبابنا الكرم! الإيمان والتقوى وأهم الشيء مكاسبنا، لأن بمكسب الحرام لا يقبل العمل.

---

١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:١٠١٥]..

٢) حلية الأولياء لأبي نعيم » أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيق _ رقم الحديث: ٦٤.

ركبنا السيارة والسائق نسي يضع الزيت في مكانه ووضعه في مكان آخر، وأراد أن تسير السيارة ولكن السيارة لم تتحرك، فالذي أكل الحرام وانتقل للشرايين كيف إخراجه، فالإنسان كيف يصل إلى الجنة وهو أكل الحرام.

المعاملات قبل العبادات: الناس يعدون يقولون اعتمرنا كم عمرة وكم حججنا، كم ختمة قرآن، والشيخ يوسف(رحمه الله) كان يقول: الذي لا يهتم بالمعاملات كالذي يعمل الأعمال لغيره، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ [ﷺ] قَالَ:" أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قالوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ فقال إِنَ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ "(١).

هذا العابد الذي كان يعبد ربه ولا يحسن المعاملات، كان لا يحسن الطهارة، ولذلك الطهارة قبل العبادة.. العلماء قالوا : أن أنواع الطهارة: طهارة المكان وطهارة اللباس وطهارة البدن وهذه الطاهرة الظاهرة.. بل لا بد من الطاهرة الباطنة، طهارة الدم الذي يجري في داخل الجسم لا بد أن يكون طاهرا

---

١) صحيح مسلم » كتاب البر والصلة والآداب» باب تحريم الظلم(٢٥٨١)، سنن الترمذي _ رقم الحديث: ٢٣٥٥ ، مسند أحمد بن حنبل » مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشرِينَ بِالجَنَّةِ ... » بَاقِي مُسْنَد المُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ _ رقم الحديث: ٨٦٤٣، صحيح ابن حبان(٤٥٠٣)، والبيهقي والطبراني في الأوسط وغيرهم.

من حقوق الناس.

فهذا عمير بن سعد يقول لعمر :(مَا تَرَى مِنْ شَأْنِي أَلَسْتَ تَرَانِي صَحِيحَ الْبَدَنِ طَاهِرَ الدَّمِ) كما جاء في حلية الأولياء: عَنْ عمير بن سعد الأنصاري ، قَالَ : بَعَثَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَامِلًا عَلَى حِمْصَ فَمَكَثَ حَوْلًا لَا يَأْتِيهِ خَبَرُهُ ، فَقَالَ عمر لِكَاتِبِهِ : اكْتُبْ إِلَى عمير – فَوَ اللهِ مَا أُرَاهُ إِلَّا قَدْ خَانَنَا – : إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَأَقْبِلْ، وَأَقْبِلْ بِمَا جَبَيْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي هَذَا . فَأَخَذَ عمير جِرَابَهُ فَجَعَلَ فِيهِ زَادَهُ وَقَصْعَتَهُ، وَعَلَّقَ إِدَاوَتَهُ ، وَأَخَذَ عَنَزَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ يَمْشِي مِنْ حِمْصَ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، قَالَ : فَقَدِمَ وَقَدْ شَحَبَ لَوْنُهُ وَاغْبَرَّ وَجْهُهُ وَطَالَتْ شَعْرَتُهُ . فَدَخَلَ عَلَى عمر وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَقَالَ عمر: مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَ عمير: مَا تَرَى مِنْ شَأْنِي أَلَسْتَ تَرَانِي صَحِيحَ الْبَدَنِ طَاهِرَ الدَّمِ، مَعِي الدُّنْيَا أَجُرُّهَا بِقَرْنِهَا ؟ قَالَ : وَمَا مَعَكَ ؟ فَظَنَّ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِمَالٍ، فَقَالَ: مَعِي جِرَابِي أَجْعَلُ فِيهِ زَادِي، وَقَصْعَتِي آكُلُ فِيهَا وَأَغْسِلُ فِيهَا رَأْسِي وَثِيَابِي، وَإِدَاوَتِي أَحْمِلُ فِيهَا وَضُوئِي وَشَرَابِي ، وَعَنَزَتِي أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُجَاهِدُ بِهَا عَدُوِ إِنْ عَرَضَ ، فَوَاللهِ مَا الدُّنْيَا إِلَّا تَبَعٌ لِمَتَاعِي . قَالَ عمر : فَجِئْتَ تَمْشِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا كَانَ لَكَ أَحَدٌ يَتَبَرَّعُ لَكَ بِدَابَّةٍ تَرْكَبُهَا ؟ قَالَ : مَا فَعَلُوا وَمَا سَأَلْتُهُمْ ذَلِكَ . فَقَالَ عمر : بِئْسَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ عمير: اتَّقِ اللهَ يَا عمر ، قَدْ نَهَاكَ اللهُ عَنِ الْغِيبَةِ ، وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ يُصَلُّونَ صَلَاةَ الْغَدَاةِ ، قَالَ عمر: فَأَيْنَ بَعَثْتُكَ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ صَنَعْتَ ؟ قَالَ: وَمَا سُؤَالُكَ يَا

أَميرَ الْمُؤْمنينَ ، فَقَالَ عمر: سُبْحَانَ اللهَّ ، فَقَالَ عمير: أَمَا لَوْلَا أَنِّي أَخْشَى أَنْ أُغَمَّكَ مَا أَخْبَرْتُكَ، بَعَثْتَني حَتَّى أَتَيْتُ الْبَلَدَ فَجَمَعْتُ صُلَحَاءَ أَهْلِهَا فَوَلَّيْتُهُمْ جِبَايَةَ فَيْئِهِمْ، حَتَّى إِذَا جَمَعُوهُ وَضَعْتُهُ مَوَاضِعَهُ ، وَلَوْ نَالَكَ منْهُ شَيْءٌ لَأَتَيْتُكَ به ، قَالَ : فَمَا جِئْتَنَا بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ: جَدِّدُوا لعمير عَهْدًا، قَالَ: إِنَّ ذَلكَ لشَيْءٍ، لَا عَمِلْتُ لَكَ وَلَا لأَحَد بَعْدَكَ ، وَاللهَّ مَا سَلِمْتُ بَلْ لَمْ أَسْلَمْ ، لَقَدْ قُلْتُ لنَصْرَانِيٍّ : أَيْ أَخْزَاكَ اللهُّ ، فَهَذَا مَا عَرَّضْتَني لَهُ يَا عمر، وَإِنَّ أَشْقَى أَيَّامي يَوْمُ خُلِّفْتُ مَعَكَ يَا عمر، فَاسْتَأْذَنَهُ فَأَذنَ لَهُ فَرَجَعَ إِلَى مَنْزله ، قَالَ: وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمدينَة أَمْيَالٌ ، فَقَالَ عمر حينَ انْصَرَفَ عمير: مَا أُرَاهُ إِلَّا قَدْ خَانَنَا . فَبَعَثَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ الحارث، وَأَعْطَاهُ مائَةَ دينَار ، فَقَالَ لَهُ : انْطَلَقْ إِلَى عمير حَتَّى تَنْزلَ به كَأَنَّكَ ضَيْفٌ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَثَرَ شَيْءٍ فَأَقْبلْ وَإِنْ رَأَيْتَ حَالَةً شَديدَةً فَادْفَعْ إِلَيْه هَذه الْمائَةَ الدِّينَارَ . فَانْطَلَقَ الحارث فَإِذَا هُوَ بعمير جَالسٍ يَفْلي قَميصَهُ إِلَى جَانب الْحَائط ، فَسَلَّمَ عَلَيْه الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ عمير: انْزلْ رَحمَكَ اللهُّ ، فَنَزَلَ ثُمَّ سَأَلَهُ فَقَالَ: منْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ قَالَ : منَ الْمدينَة . قَالَ : فَكَيْفَ تَرَكْتَ أَميرَ الْمُؤْمنينَ ؟ قَالَ : صَالحًا. قَالَ : فَكَيْفَ تَرَكْتَ الْمُسْلمينَ ؟ قَالَ : صَالحينَ . قَالَ: أَلَيْسَ يُقيمُ الْحُدُودَ ؟ قَالَ: بَلَى ، ضَرَبَ ابْنًا لَهُ أَتَى فَاحشَةً فَمَاتَ منْ ضَرْبه . فَقَالَ عمير: اللَّهُمَّ أَعنْ عمر فَإِنِّي لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا شَديدًا حُبُّهُ لَكَ ، قَالَ: فَنَزَلَ به ثَلَاثَةَ أَيَّام وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا قُرْصَةٌ منْ شَعير كَانُوا يَخُصُّونَهُ بهَا وَيَطْوُونَ ، حَتَّى أَتَاهُمُ الْجُهْدُ ، فَقَالَ لَهُ عمير: إِنَّكَ قَدْ أَجَعْتَنَا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتَحَوَّلَ عَنَّا فَافْعَلْ. قَالَ: فَأَخْرَجَ الدَّنَانيرَ فَدَفَعَهَا إِلَيْه،

فَقَالَ: بَعَثَ بِهَا إِلَيْكَ أَميرُ الْمُؤْمنينَ فَاسْتَعنْ بِهَا. قَالَ: فَصَاحَ وَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا ، رُدَّهَا . فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : إِن احْتَجْتَ إِلَيْهَا وَإِلَّا فَضَعْهَا مَوَاضِعَهَا، فَقَالَ عمير: وَاللهَّ مَا لِي شَيْءٌ أَجْعَلُهَا فِيه. فَشَقَّت امْرَأَتُهُ أَسْفَلَ درْعِهَا فَأَعْطَتْهُ خرْقَةً فَجَعَلَهَا فِيهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ أَبْنَاء الشُّهَدَاء وَالْفُقَرَاء ، ثُمَّ رَجَعَ وَالرَّسُولُ يَظُنُّ أَنَّهُ يُعْطِيه منْهَا شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ عمير: أَقْرِئْ منِّي أَميرَ الْمُؤْمنينَ السَّلَامَ . فَرَجَعَ الْحَارِثُ إِلَى عمر ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ: رَأَيْتُ يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ حَالًا شَديدًا، قَالَ : فَمَا صَنَعَ بِالدَّنَانِيرِ ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي . قَالَ : فَكَتَبَ إِلَيْه عمر: إِذَا جَاءَكَ كتَابِي هَذَا فَلَا تَضَعْهُ منْ يَدِكَ حَتَّى تُقْبِلَ. فَأَقْبَلَ إِلَى عمر رَضِيَ اللهَّ تَعَالَى عَنْهُ فَدَخَلَ عَلَيْه، فَقَالَ لَهُ عمر: مَا صَنَعْتَ بِالدَّنَانِيرِ ؟ قَالَ: صَنَعْتُ مَا صَنَعْتُ وَمَا سُؤَالُكَ عَنْهَا ؟ قَالَ: أَنْشُدُ عَلَيْكَ لَتُخْبِرَنِّي مَا صَنَعْتَ بِهَا، قَالَ: قَدَّمْتُهَا لنَفْسِي، قَالَ: رَحِمَكَ اللهَّ ، فَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ منْ طَعَامٍ وَثَوْبَيْن ، فَقَالَ: أَمَّا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لِي فيه، قَدْ تَرَكْتُ فِي الْمَنْزِلِ صَاعَيْنِ منْ شَعيرٍ إِلَى أَنْ آكُلَ ذَلكَ قَدْ جَاءَ اللهَّ تَعَالَى بِالرِّزْقِ ، وَلَمْ يَأْخُذ الطَّعَامَ ، وَأَمَّا الثَّوْبَانِ فَقَالَ : إِنَّ أُمَّ فُلَانٍ عَارِيَةٌ، فَأَخَذَهُمَا وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِله. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ هَلَكَ رَحِمَهُ اللهَّ ، فَبَلَغَ عمر ذَلكَ فَشَقَّ عَلَيْه وَتَرَحَّمَ عَلَيْه، فَخَرَجَ يَمْشِي وَمَعَهُ الْمُشَّاءُونَ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَد، فَقَالَ لأَصْحَابه: لِيَتَمَنَّ كُلُّ رَجُلٍ منْكُمْ أُمْنِيَتَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَددْتُ يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ أَنَّ عنْدِي مَالًا فَأَعْتِقَ لوَجْه اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ كَذَا وَكَذَا ، وَقَالَ آخَرُ : وَددْتُ يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ أَنَّ عنْدِي مَالًا فَأُنْفِقَ فِي سَبِيلِ اللهَّ، وَقَالَ آخَرُ: وَددْتُ لَوْ أَنَّ لِي قُوَّةً فَأَمْتَحَ بِدَلْوٍ زَمْزَمَ

لِحُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ ، فَقَالَ عمر: وَدِدْتُ أَنَّ لِي رَجُلًا مِثْلَ عمير بن سعد أَسْتَعِينُ بِهِ فِي أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ (١).

كان طاهر الدم ليس عليه حقوق للناس، لا بد أن يكون طاهر الدم كما كان طاهر البدن واللباس، لأننا أمامنا فقط نجاسة ظاهرية.. والله الربا مثل النجاسة الظاهرية، الشيخ يوسف كان يقول: الذي يتعامل بالربا ثم يطعم أولاده، مثل الذي يأكل الخنزير ويطعمه أولاده.. هذا حرام .. وهذا حرام سواء.

النجاسة نوعين: حكمية ونجاسة مرئية والاثنين سواء.. رجل على جسده نجاسة مرئية هو يراه بنفسه ويطهره.. الشيخ يوسف كان يقول: المكاسب الحرام نجاسة.

فكيف نضحي بالمكاسب الحرام ونجتهد في هذا السبيل والله وعدنا على الجهد الهداية.. فلما نجتهد ونستقيم في أعمال النبوة ففيها ضمان الهداية.

فنهتم ونستقيم في هذا العمل فيجعلنا الله سببا في هداية الناس.

الخروج في هذا السبيل مثل الماء الجاري طاهر في ذاته مطهر لغيره، فإذا وقع في نجاسة يطهره، الأمة إذا كانت متحركة في هذا السبيل تكون أمة طاهرة ومطهرة.. الذي يخرج في هذا السبيل تكون مغفرته في بداية هذا الجهد الذي قتل مائة نفس وأراد إصلاح نفسه وخرج ما بقي الوقت في حياته ومات فأتته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.. فالله ماذا فعل به.

---

١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» المهاجرون من الصحابة» عمير بن سعد» خبره مع عمر(٣٨).

كذلك نحن نجتهد لإصلاح أنفسنا الله يثبتنا على هذا الجهد، وأن نتيقن بهذا الجهد الهداية وتزكية نفوسنا وإن لم نتيقن به لم نستقم عليه يأتي الملل، نتيقن أنه جهد الأنبياء والصحابة، كما أن الله نصرهم وهداهم يهدينا وينصرنا.

التوسع والترسخ

(في الدعوة إلى الله)

الدعوة مثل الظل والمقصود مثل الثمرة، والذي يعمل للمقصد هو يتحصل على الموعود، وقد يبتلى الداعي أثناء الجهد حتى يأتي عنده الترسيخ، وربما يكون التوسع بعد الممات(١).

وأيضاً كيف يأتي عنده: ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾(٢)، ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىَ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾(٣).

تأخر قبول الناس للحق حتى يترسخ الحق في صاحب الدعوة، لأنه يتفكر كم يقبل وكم لا يقبل ؟ فيتولد عنده الحزن والألم والأسف والدعاء لله تعالى فيضحى أكثر من أجلهم .

فالترسخ ثم التوسع سواء في حياته أو بعد مماته، فسيدنا إبراهيم يقول: ﴿ يَأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾(٤).

ولكن مات كافراً فسيدنا إبراهيم ما رأي التوسع في حياته ولكن جاء في ذريته ولكن كان عنده ترسخ شديد، وسيدنا يوسف عنده ترسخ شديد، وعندما جاءه التوسع والتمكين ظل كما هو في عبادته ومقصوده.

---

(١) مثل غلام الأخدود.

(٢) سورة فاطر – الآية ٨.

(٣) سورة الكهف – الآية ٦.

(٤) سورة مريم – الآية ٤٤.

وسيدنا نوح مع قومه قال تعالى: ﴿ وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاّ قَلِيلٌ﴾ (١). حتى أهله لم يقبلوا الحق، ولكن جاء التوسع بعد الممات في الذرية، قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾ (٢).

وسيدنا إبراهيم الله جعل في ذريته الأنبياء والمرسلين منهم ثلاثة من أولى العزم ومعهم أتباعهم وبالذات أمة الرسول [ﷺ] قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا من قَبْلُ وَمن ذُرِّيّته دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلكَ نَجْزِي الْمُحْسنينَ * وَزَكَرِيّا وَيَحْيَى وَعيسَى وَإِلْيَاسَ كُلّ مّنَ الصّالحِينَ * وَإِسْمَاعيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاّ فَضّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمنْ آبَائهِمْ وَذُرّيّاتهِمْ وَإِخْوَانهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىَ صرَاطٍ مّسْتَقيمٍ﴾(٣).

فالله أعطى أعلى النتائج (التوسع) بعد الممات ويكفى أن الرسول ﷺ وأمته من ذرية سيدنا إبراهيم، ولذا الآية للرسول (وأمته) قال تعالى: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾(٤).

وإن لم يخرج معك أحد، وحتى لو عارضك الكل، لأن كلمة (**سارعوا، سابقوا، فليتنافس**) لأهل الإيمان وليس لكل الناس.

---

(١) سورة هود – الآية ٤٠.

(٢) سورة الإسراء – الآية ٣.

(٣) سورة الأنعام _ الآيات من ٨٤ : ٨٧.

(٤) سورة الشورى _ الآية ١٥.

فالله لم يشترط النتائج على الداعي سواء في حياته أو بعد مماته ، السيدة سمية ما رأت النتائج، كذلك السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها زوجة الرسول [ﷺ] ومصعب بن عمير، وصاحب يس، وغلام الأخدود .

وعندما غضب سيدنا يونس لله على وجود قومه في الظلمات وتركهم ، فالله أدخله في ثلاث ظلمات فلما عرف ذلك قال ، قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَهَبَ مُغَاضِبا فظنّ أن لن نّقدِرَ عَلَيْهِ فنَادَىَ فِي الظلمَاتِ أن لا إِلـهَ إِلا أنتَ سُبْحَانَكَ إِنّي كُنتُ مِنَ الظَالِمِينَ﴾(١) . شعر وعرف أنه ظلمهم بترك دعوتهم والصبر عليهم .

ولذا قال الله للرسول وأمته﴿ فاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلون بَصِيرٌ ﴾(٢)، وليس كما تحب، [وَلا تَطغَوْاْ] أي: [بعدم القيام على الدعوة نكون طفاة وظلمة مجرمين في حق البشرية] ولذا وَقَالَ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فِي قَوْل اللَّه تَعَالَى : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ } مَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُول اللَّهَّ [ﷺ] فِي جَمِيع الْقُرْآن آيَة أَشَدّ وَلَا أَشَقّ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَة وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ حِين قَالُوا : قَدْ أَسْرَعَ إِلَيْك الشَّيْب فَقَالَ : " شَيَّبَتْنِي هُود وَأَخَوَاتهَا " (٣).

---

(١) سورة الأنبياء _ الآية ٨٧.

(٢) سورة هود _ الآية ١١٢.

(٣) صحيح مسلم _ شرح النووي.

فماذا في هود إلا دعوة الأنبياء والأمر بالاستقامة على ذلك هو وأمته [ﷺ] فكل نبي كان يدعو منفرداً وفى قومه، أما الرسول [ﷺ] لكل الأمة:﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ﴾(١)(٢)، ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾(٣).

وقال تعالى:﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد ﴾ (٤) كل الناس طول العمر وحتى نهاية الناس .

وعَنْ شدَّادِ بْنِ أوْسٍ عَنِ [ﷺ] قال:" الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ " قال هَذا حَدِيث حَسَنٌ .

فمن المعروف والمسلم به أنه بتمام المجاهدة نتحصل على تمام الهداية، والهداية: هي معرفة الطريق الصحيح الموصل للغاية والسير فيه ، ومعرفة متطلبات الطريق واليقين على نهايته كأنه رأها وعاينها ، وليس معرفة الطريق ثم عدم السير فيه وتمنى الحصول على النتائج ، فالرسول [ﷺ] سماه: العاجز .

---

(١) سورة هود _ الآية ١١٢.

(٢) يقول الإمام الرازي: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ] وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ، سَوَاءٌ كَانَ مُخْتَصًّا بِهِ أَوْ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِتَبْلِيغِ الْوَحْيِ وَبَيَانِ الشَّرَائِعِ (التفسير الكبير للرازي).

(٣) سورة الفاتحة – الآية من ٦ ، ٧.

(٤) سورة إبراهيم - الآية ١ .

والهداية تأتى عن طريق المجاهدة الصحيحة التي ينتج عنها الإيمان، والإيمان: التصديق القلبي وليس المعاينة بالنظر على نتائج الطريق، وبالإيمان نستطيع القيام بالأعمال، وبالثبات على الأعمال في كل الظروف والأحوال والأماكن نتحصل على الصفات وبالصفات تكون معنا معية الله ، أي نصرة الله، عون الله، حفاظه الله، قوة الله، عفو الله.

والمعية نوعان :

١) **عامة لكل الخلق ، معية ربوبية :** أي أن الله خلق من العدم وتكفل بالإمداد والآيات قال تعالى:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(١) **وقال تعالى:** ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٢).

٢) **والمعية الثانية: معية الإلوهية:** وهى ثمرة العبودية لله تعالى:

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾(٣).

وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٤).

وقال الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٥).

---

(١) سورة الحديد _ الآية ٤.

(٢) سورة ق _ الآية ١٦ .

(٣) سورة التوبة _ الآية ٤٠ .

(٤) سورة غافر _ الآية ٥١ .

(٥) سورة العنكبوت _ الآية ٥٩ .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

وقال الله ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤).

وقال الله ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (٥).

ولذا أعمال الجهد سواء أثناء الخروج أو في المقام هي المجاهدة والتمرين على الأعمال، أي التربية وليس التثقيف فقط، بل العلم والعمل معاً مثل تربية الرسول ﷺ للصحابة رضي الله عنهم، إذن دعوة ينتج عنها إيمان.

وبالإيمان نستطيع القيام بالأعمال، وبالأعمال نتحصل على الصفات، وبالصفات تكون معية الله معنا.



(١) سورة التوبة - الآية ١٢٣ .

(٢) سورة الأنفال – الآية ١٩ .

(٣) سورة العنكبوت – الآية ٦٩ .

(٤) سورة البقرة – الآية ١٥٣.

(٥) سورة النحل – الآية ١٢٨

مذاكرة في أصول الدعوة

- لحصول الاستقامة الحقيقية لابد له من الدعوة على طريق النبي صلى الله عليه وسلم .
- الدعوة: هي الطريقة النبوية التي كان يدعو بها النبي [ﷺ] وأصحابه .
- الداعية هو الذي يمارس الدعوة بنفسه ويباشرها ويقيم نفسه عليها ويمارس التواصي بالحق والتواصي بالصبر.
- **الدين الذي يأتي بالجهد والمجاهدة والحركة والنقل لا يمكن أن يتركه صاحبه:** وقصة عَبْدَ اللهَّ بْنَ حُذَافَةَ خير شاهد: فعَنْ أَبِي رَافِعٍ ، قَالَ: وَجَّهَ عُمَرُ جَيْشًا إِلَى الرُّومِ ، فَأَسَرُوا عَبْدَ اللهَّ بْنَ حُذَافَةَ ، فَذَهَبُوا به إِلَى مَلِكِهِمْ ، فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّد ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّرَ وَأُعْطِيَكَ نِصْفَ مُلْكِي ؟ قَالَ : لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيعَ مُلْكِ الْعَرَبِ، مَا رَجَعْتُ عَنْ دِينِ مُحَمَّد طَرْفَةَ عَيْنٍ. قَالَ: إِذًا أَقْتُلَكَ. قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ ، فَأَمَرَ به، فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلرُّمَاةِ : ارْمُوهُ قَرِيبًا مِنْ بَدَنِه ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ ، وَيَأْبَى، فَأَنْزَلَهُ. وَدَعَا بِقِدْرٍ، فَصَبَّ فِيهَا مَاءً حَتَّى احْتَرَقَتْ، وَدَعَا بِأَسِيرَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا، فَأُلْقِيَ فِيهَا ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ ، وَهُوَ يَأْبَى. ثُمَّ بَكَى، فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: إِنَّهُ بَكَى، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ جَزِعَ ، فَقَالَ: رُدُّوهُ. مَا أَبْكَاكَ ؟ قَالَ: قُلْتُ: هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى السَّاعَةَ فَتَذْهَبُ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ شَعْرِي أَنْفُسٌ تُلْقَى فِي النَّارِ فِي اللهَّ. فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبِّلَ رَأْسِي وَأُخَلِّيَ عَنْكَ ؟

.فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهَّ : وَعَنْ جَمِيعِ الْأَسَارَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ .وَقَدِمَ بِالْأَسَارَى عَلَى عُمَرَ ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ ابْنِ حُذَافَةَ ، وَأَنَا أَبْدَأُ ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ(١). وأما من لا يبذل الجهد لهذا الدين فإنه من أجل لعاعة من الدنيا يترك دينه .

- لو قامت الأمة بالدعوة وفق ما قام به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لتحصلت على النصرة .
- علينا أن نتيقن أن قيامنا بدعوة أحد من الناس لهذا الدين أنه أمر الله .
- **لدخول الناس في الاسلام، لابد أن يتصف الداعي بثلاث صفات:**

١. دعوته على النهج الصحيح .

٢. سخائه البذل والإنفاق .

٣. حسن أخلاقه ومعاشراته ومعاملاته.

- النصرة الغيبية هي لأجل هداية الناس.. والداعي إلى الله محفوظ { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهَّ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَّ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (٢)احتياجات الداعي مضمونة .
- القوة في الدين والثبات وقوة التأثير تكون بالدعوة الى الله على نهج النبوة .
- التضحية والصبر والحركة لأجل هذا الدين مطلوبة لنصرة الله للداعية ودخول الناس في دين الله .

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧.

õ مقصد الاجتماع هو : أن يتضح أمام كل فرد من أفراد الأمة مفهوم الدعوة إلى الله وتصحيحها .

õ أهم السنن التي كانت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانت الحركة والنقل من أجل دعوة الناس لهذا الدين .

õ لا تكون الدعوة بالفوقية بل تكون باللين والرحمة والتواضع للناس والنزول لهم ومخالطتهم .

õ أول ما ندعو إليه ومدار الدعوة ومحورها عليه هي الكلمة الطيبة لا إله إلا الله وكل الأنبياء كانت دعوتهم إليه ﷺ من خلال هذه الكلمة .

õ الأنبياء عليهم السلام لم يكن تعبدهم لله بهذه الكلمة فقط بل كانوا يدعون الناس لها فهم يعبدون الله بذكرها ويذكّرون الناس بها .

õ علم التوحيد لا يستطيع أن يتوقف عنه المؤمن أو يتركه أبدا وعلم التوحيد وعلم الإيمان مقصود لذاته، وكلما اشتغل بالدعوة إلى التوحيد كلما زاد إيمانه .

õ أساس الفوز والفلاح هي الأعمال التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام ولما تركها أقوامهم أصابهم الهلاك والدمار .

õ الباطل لا تخمد ناره ولا يتضعضع إلا بدعوة التوحيد والإيمان { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } (١).

---

(١) سورة الزمر _ الآية ٤٥.

õ خرافة الإلحاد أو كما يسمون بالدهرية هو أن الكون يمشي بنفسه ويسير بنفسه وفق أنظمة وقوانين تتحكم به وهذا ليس بصحيح فإن ورقة من شجرة لا تسقط إلا بإذنه وبعلمه .

õ اذا لم يخرج المخلوق من القلب لا يستفيد الإنسان من قضاء ضروریاته بالأعمال .

õ لا يتحقق الإيمان في القلب حتى يتساوى عندنا الحي والميت والمتحرك والجامد. وهذه حققها ابراهيم عليه السلام عندما جاءه جِبْرِيل لنصرته عند إرادة قومه حرقه .

õ التوكل يتحقق إذا لم يوجد في القلب إلا خطا واحدا وإذا وجدت خطوط أخرى في القلب متضادة فإن التوكل لن يتحقق في القلب .

õ كم تتعب الأسر والأشخاص في إيجاد الحلول لمشاكلهم والحل في ركعتين .

õ أساس دعوتنا هي الدعوة إلى التوحيد والإيمان ونربط العلم فيها بالعمل .

õ محبة غير الله والخوف من غيره سب فساد اليقين .

õ علامة فساد القلب أن يفرح بالمعصية وقد نهي عنها ولا يسر بالحسنة إذا فعلها وقد أمر بها. وعلامة الإيمان أن يسر بالحسنة ويستاء بالسيئة .

õ الإيمان الذي في القلب يخرجه الإسلام .

õ اول شرط لقبول العمل هو إصلاح المعاملات «أيما جسد نبت من حرام فالنار أولى به .«

õ النبي صلى الله عليه وسلم كوّن أمة ولَم يكون قبيلة أو قوما .

õ أمر الأمة أمر جماعي كالسفينة لو ثقبت ستغرق بكل من فيها.. إقامة الأعمال وإقامة الإيمان في الأمة.

õ الجهد على نهج النبي(ﷺ) وبطريق النبي(ﷺ)، هو السبيل الوحيد لحصول الهداية من الله تعالى: قال تعالى :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(١).

õ الأعمال الاجتماعية:

١. الشورى في المسجد وفي البيت.

٢. التعليم في المسجد وفي البيت.

٣. تفريغ وقت ساعتين ونصف للزيارات.

٤. جولة مقامية وجولة انتقالية.

٥. خروج ثلاثة أيام كل شهر.

õ لكل عمل مقصد، فإذا لم يقم العمل على مقصده فهذا العمل غير موجود.

õ أول ما خرج من حياة الأمة : عمل (الدعوة إلى الله) ثم (التضحية لدين الله) ثم (حياة البساطة) فقد اجتهد الأعداء على هذه الصفات الإيمانية

---

١) سورة فصلت – الآيات من ٣٣ : ٣٥ .

حتى أخرجوها من حياة الأمة ، فانقلب الحال، وصار الجهد والاجتهاد والتضحية فقط للحصول على الأموال والأسباب المادية ، وأصبح المسلم يسعى ليعيش بالرفاهية ، وأصبح المجتمع يستنكر: (الزنا والربا وشرب الخمر) ، ولا يستنكر أن يترك المسلم عمل (الدعوة إلى الله) ولا يستنكر خروج هذا العمل من حياة الأمة، وقد كانت العبادة والدعوة في زمن النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـعلى : (كل أفراد الأمة) ، ثم صارت (العبادة) فقط في حياة الأمة في زمننا هذا ، وأصبح عمل (الدعوة إلى الله) فقط على بعض أفراد الأمة ، والبقية الباقية من الأمة اشتغلوا بجمع المال وتكميل شهوات النفس ورغباتها ، وفيما لا يعنيهم فحلَّت بالأمة المصائب والعقوبات، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، والمصيبة الكبرى التي حلت بالأمة أنها نسيت مسئوليتها ومقصدها ووظيفتها : بأن كل فرد من أفرادها مسئول عن دين الله، والأعظم من ذلك: أن الأمة نسيت أنها نسيت، فأصبحت نسيا منسيا، فإذا حاولت أن تدعوا المسلمين إلى القيام بمسئوليتهم الدينية ووظيفتهم الحقيقية بأنهم دعاة إلى الله ونائبين عن الرسول عليه الصلاة والسلام في نشر الرسالة ، أنكر عليك البعض بشدة وكأنك أتيت بدين جديد ولسان حالهم يقول : تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟أجمعتنا حتى نترك شهواتنا وشهوات آبائنا وأجدادنا ؟، الذين لطالما غرسوا في أذهاننا بأن قرشك الأبيض ليومك الأسود وإذا كان معك ريال فأنت تساوي ريال ، وإن لم يكن معك

شيء فأنت لا تساوي شيء، حتى أصبح البعض من الصالحين شكله شكل محمد عليه الصلاة والسلام، وجل اهتماماته هي اهتمامات قارون وفرعون وهامان ، يسعى بالليل والنهار لا يكل ولا يمل لجمع المال ولنيل المناصب والرئاسات حتى تغيرت أخلاقهم وضاقت صدورهم فلم تتسع لجار أو صديق أو قريب، لتقريبه من الله وتحريك عواطفه للاهتمام بالآخرة والاستعداد للقاء الله، والسبب واضح وبسيط : (فاقد الشيء لا يعطيه) كما قال الشيخ/ أبو الحسن الندوي ــ رحمه الله ــ نادى نوح - عليه السلام- الحيوانات مرّةً واحدة فركبوا السفينة، وقضى ٩٥٠ سنةً ينادي البشر فاختاروا الغرق !! (غريزة حيوان سليمة، أفضل من عقل إنسان مريض).

- الدعوة إلى الله وظيفة كل الأمة، أما الفتاوى في مسائل الأحكام، فمن علم حكماً أفتى به، ومن جهله دل المستفتي على العلماء الذين اختصهم الله بمزيد من العلم و الفقه، والفهم والحفظ، والدال على الخير كفاعله، وكان الصحابة يتدافعون الفتوى فيما بينهم، والمفتون فيهم يعدون على الأصابع كمعاذ بن جبل ،وعلي بن أبى طالب ،وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس وغيرهم ــ رضي الله عنهم ــ.
- فالفتوى ليست مباحه لكل أحد، أما الدعوة فالكل يدعو إلى الله بحسب ما عنده من العلم، وأقله آية.

õ الداعي إلى الله عز وجل هو أكبر تاجر في العالم لأن زبائنه كل الناس....لذلك علينا أن نتحمل أخطاء الناس كما تحمل النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم).

õ فأهم شيء في حياتنا هو دعوة الناس إلى توحيد الله. ثم تحمل المسؤولية وهذا يحتاج إلى ثلاثة أشياء :

١. الصبر: قال تعالى: { وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ }(١) .

٢. الشكر: قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (٢)،

õ الاستغفار: على تقصيرنا .

õ وكذلك علينا أن نتعامل مع الناس بأربعة صفات أساسية.. أن نصل من قطعنا .. ونعفو عن من ظلمنا .ونعطي من حرمنا .. ونحسن إلى من أساء إلينا.. فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ [ﷺ] فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ [ﷺ] فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ أَمْلِكْ لِسَانَكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ قَالَ ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ [ﷺ] فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ أَلَا أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي

---

١) سورة آل عمران – الآية ١٤٦.

٢) سورة إبراهيم – الآية ٧.

الْفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ لَا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ قَالَ عُقْبَةُ فَمَا أَتَتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتُهُنَّ فِيهَا وَحُقَّ لِي أَنْ لَا أَدَعَهُنَّ وَقَدْ أَمَرَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللهِ [ﷺ] وَكَانَ فَرْوَةُ بْنُ مُجَاهِدٍ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ أَلَا فَرُبَّ مَنْ لَا يَمْلِكُ لِسَانَهُ أَوْ لَا يَبْكِي عَلَى خَطِيئَتِهِ وَلَا يَسَعُهُ بَيْتُهُ(١).

õ إن هذا الجهد المبارك يتميز ببساطته كما قال الشيخ جمشيد (رحمه الله) : إن بساطة هذا العمل غطت على عظمته.

õ وكما تعلمون أن مزاج هذا العمل يقتضي البساطة وعدم استخدام وسائل الترويج والدعاية التي هي وسيلة اليهود والنصارى في نشر ضلالهم وانحرافاتهم و كذلك يستخدمها كثير في الدعاية لإنجازاتهم.

õ ولكن هذا الدين يقوم على الدعوة والدعاء بالبساطة والخفاء وقد تميزت جماعات العجم وخاصة جماعات الأقدام التي عبرت الصحاري والأدغال وحرثت العالم بالصمت والعمل الدؤوب الذي لا يعلمه إلا الله ونحن نأتي الآن على طريق ممهد ونكاد نفقد هذا العمل مزاجه وبساطته.. وقد حفظ الله هذا العمل بحفظه وتوفيقه.. وتوفيق مشايخنا الكرام بالحكمة في العمل بصمت خاصة داخل الدول غير المسلمة بل حتى تجنب الجهد المباشر على غير

---

١) مسند أحمد» مسند الشاميين» حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم (١٦٩٩٩).

المسلمين، فلنحافظ على مزاج عمل النبوة كما وصف الله أنبياءه (انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز)

- عدد إخوة يوسف (عليه السلام) إحدى عشر ، ومع ذلك تآمروا عليه ، بينما أخو موسى (عليه السلام) الوحيد (هارون _ وقف وزيراً مع أخيه !!،

فليست العبرة بالعدد إنما العبرة بالبركة .. فاسألوا الله دائما البركة في النفس والمال والولد والرزق قل منه أو كثر!.

- والله المستعان ..وفقنا الله واياكم لنشر عواطف النبوة على ترتيب النبوة (١).

(١) بيان في اجتماع تونجـــــي في دكا ببـنغلاديش _ يـوم السـبت ١٥ربيـع الآخر١٤٣٨هـ ، الموافق ١٣ يناير ٢٠١٧م.

علاج الفتن

- إن علاج الفتن هو الانغماس في الجهد، وليس علاج الفتن التفرغ والتفكر فيها أبدا .
- وقد كان النبي (ﷺ) يشغل الصحابة بالجهد وقت الفتن .
- إلى أن لا يبقى مجال للتفكر فيها وقد فعل ذلك عندما قال عبد الله بن أبي بن سلول { لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (١) أمر الصحابة بالاستمرار في الجهد والسفر المتواصل لأن بعض الصحابة طلب الإذن في قتله .. وبذلك انقمعت فتنة عمياء .
- فعلاج الفتن والأحوال هو الانغماس في الأعمال وليس التفرغ للتفكر في حلها .
- إن الأمة تريد العزة والتمكين، ولكن بأساليب وطرق اليهود والنصاري!؟ ولكن هيهات وهيهات ثم هيهات.
- إن الأمة الإسلامية لن تنال عزتها وكرامتها والفوز والفلاح في الدارين ، إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة ، وهذا يستلزم القيام بالدعوة إلى الله بالحكمة

---

(١) سورة المنافقون _ الآية ٨.

والموعظة الحسنة، كما فعل الأنبياء وخاتم الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وأيضا كما فعل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم..

- كلما طهر القلب رق، فإذا رق راق، وإذا راق ذاق، وإذا ذاق فاق ، وإذا فاق اشتاق، وإذا اشتاق اجتهد، وإذا اجتهد هبت عليه نسائم الجنة فيفرح بالطاعة..
- ومن ذاق عرف، ومن عرف اغترف، ومن اغترف نال الشرف..
- اللهم اجعلنا ممن رقت قلوبهم وراقوا وذاقوا واشتاقوا واجتهدوا بطاعتك.

عمارة المسجد بالأعمال

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك(ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) :" لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا "(١).

نتيقن بكل قلوبنا لا نجد أي طريق وأي سبيل للتقرب إلى الله والعلاقة المخصوصة مع الله إلا بهذا الطريق.

õ قدر ما نتيقن بكل قلوبنا بقدر ما نتيقن بهذا العمل تزكية نفوسنا وتربية أنفسنا وبقدر ما نتيقن على الله نثبت على هذا العمل ، وإلا تكون أعمال النبوة مثل البرنامج لأن هذا متأكد ومتيقن أن الذي يجمع بين الدعوة والعبادة يكون أحسن دينا وعنده الاستعداد بأن يظهر نفسه إيمانا واعتقادا وعبادة ومعاملة ومعاشرة وأخلاقا أنه من المسلمين هذه خلاصة الآية :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

قالت العلماء: أن هذه الآية جملة استفهامية انكارية الله سبحانه وتعالى كلامه مؤكد أن هذه الآية تؤكد هذا المعنى، وإلا مع هذا العمل ننحرف إلى الأصوات الأخرى فلا يبقى الاستخلاص في هذا العمل فما هو المطلوب وما هو حق العمل.

---

(١) بيان في اجتماع تونجـــــي في دكا ببـنغلاديش ـ يـوم السـبت ١٥ربيـع الآخر١٤٣٨هـ ، الموافق ١٣ يناير ٢٠١٧م.

٢) سورة فصلت – الآية ٣٣ .

هذا العمل مهم جدا، ونحن نتيقن بكل قلوبنا أن أوصل الطريق هذا العمل، لأن محبة الله مع أنبيائه بسبب هذا العمل.

هذا العمل مهم جدا، فنحنُ نتيقن من كل قلوبنا، كما قال الشيخ إلياس(رحمه الله):أسرع الطرق وأوسعها وأوصل إلى الله هذا العمل، لأن محبة الله مع أنبيائه عليهم السلام بسبب هذا العمل.

لا تأتي المكاره والمعضلات في هذا الجهد لما دعا رسول الله (ﷺ) المشركين وردوا عليه دعوته بشدة فاغتم اغتماما شديدا، كما جاء في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَا لِيلَ ابْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ

النَّبِيُّ (ﷺ) بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا(١).

لا بديل لهذه الجولات ولا لهذه الزيارات لجلب ونزول نصرة الله عز وجل في هذا الشأن لا بديل له، لأن لو نحنُ في هذا الجهد نبتعد من مزاج الصحابة ونبتعد من طريقة جهد الصحابة والله ثم والله لابتعدنا عن النصرات الغيبية التي كانت للصحابة رضي الله عنهم لأن البرنامج ليس لها الوعد من التييدات جميع التأييدات الغيبية والنصرة مع سننه (ﷺ) أذهاننا حددت في سنن العبادات وسنن العادات وما تفكرنا في سننه في سنن الدعوة وكيف كانت طريقة الصحابة في إحياء دين الله فيما بينهم.

كأن علماء هذه الأمة وصلحاؤها جعلوا الدعوة إلى الله فقط لغير المسلمين وتركوا ونسواْ ماذا فعلت الصحابة لتثبيت إيمانهم ولتثبيتهم على أوامر الله، الأمة نسيت ذلك تماما

أنا أحب أن أوضح لكم ماهي الدعوة المتعلقة بالمسلمين، وكيف يتقرب الداعي ويثبت على أوامره بقدر ما يجتهد ويدعوا الناس إلى الله وأوامره.

ما علاقة هذا العمل معنا ومع المسلمين ، هذا العمل لإصلاح نفوسنا، يقول الشيخ يوسف: تفريغ الوقت بين صلاتين فيترقى الداعي في صلاته الأخرى،

---

(١) صحيح البخاري» كتاب بدء الخلق» باب ذكر الملائكة (٣٠٥٩)، صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير - باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين _ حديث رقم ١٧٩٥.

مهما تكون الأعمال بعد الجولات ، لهذه الجولات لحصول الحقيقة فالدعوة للداعي(سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) (١)،سواء عليهم الذين لا يؤمنون بالله وما قال سواء عليك كما قالوا: (قالوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) (٢) أَيْ : سَوَاءٌ عَلَيْنَا فَلَا نَتَّبِعُ وَعْظَكَ ؛ لِأَنَّ هَذَا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (٣) .

الداعي يترقى بأعمال الدعوة ولو لم يقبل المدعو ويستجب.

فأصلا هذا الدعوة لتزكية نفوسنا وللتقرب إلى الله تعالى.

فالصحابة ماذا يفعلون فيما بينهم لتسديد إيمانهم ولتثبيتهم على أوامر الله.

فالداعي لما يتقدم في هذا العمل وتأتي عليه مقتضيات الآخرين فأول ما ينس ينسى نفسه، ثم هو يتعب ويشكو أن الناس لا يقبلون الكلام الدعوة لأنفسنا وللآخرين.

هذه ستة صفات الصحابة كيف يهتمون لحصول هذه الصفات لهذه الحركة ، وهذه الصفات ما علاقتها بجهد المسجد.

ما طريقة حصول حقيقة هذه الصفات بجهد المسجد، نحن بالصفة الأولى كلمة لا إله إلا الله نستن تماما بسنة الصحابة، ما هو الطريق كيف الإيمان

---

١) سورة البقرة _ الآية٦.

٢) سورة الشعراء _ الآية١٣٦.

٣) التحرير والتنوير لابن عاشور» سورة الشعراء» قوله تعالى قالوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ.

يتجدد بالحلقات الإيمانية في المسجد، والصحابة ماذا يفعلون فيها ولماذا يتحركون خارج المسجد ولماذا يزورون الناس بيتا بيتا وفي السوق.

سألني أحد العلماء قال: أنت تقولون: أن الإيمان يتقوى بمجالس الإيمان فما هو الدليل؟ المؤمن مؤمن لماذا نتهمه أنه ضعيف الإيمان، فلماذا تقولون أن الإيمان يتقوى ويتجدد بمجالس الإيمان، قلت له: تذكيراً وتصيحا لكلامه : صحيح البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله وضع فيه الباب وقال أن الإيمان يترقى بالمجالس الإيمانية، واستدل بترجمة الباب ، مع معاذ بن جبل أنه يتجول على المسلمين ، وعبد الله بن رواحة كان يتجول على المسلمين، هذا عملنا تماما مرتبط بجهد الصحابة وفضائل جهدهم ليس مرتبط بزمانهم، ولكن فضائل جهدهم إلى يوم القيامة ، كانوا يزورون بيتا بيتا، وفردا فردا، فهذه الجولات لإخراج الناس من جميع الأسباب ومن جميع الأشكال المادية بالزيارات وإدخالهم إلى مجالس الذكر، ثم بالاختصار الحمد لله ثم الحمد لله مثل: هذا العمل كالسلالم والدرج إلى الآن تشاهدنا أن الأمة بدأ فيهم استعداد الدعوة.

فعلى جماعة المسجد ثمانية أشخاص يقومون بأعمال المسجد يقومون بالزيارات وعيادة المرضى والخروج، ولا يترك أي مؤمن في أي مكان في الدكان وغيره، والجلوس في المجالس الإيمانية ليس متعلق بالقدماء ولا الخارجين بل كل المؤمنين، مسئوليتهم تعمير المسجد، وأول عمل مجالس الإيمان فنأتي بالناس إلى المسجد والجماعة التي تشكل إلى المسجد، يجلسوا في مجالس الإيمان ويزوروا

الناس مع جماعة المسجد ويرغبون الناس إلى مجالس الإيمان بالمسجد، ولا يحدد الوقت بساعتين لأنه لا يستطيع كل واحد أن يحدد الوقت، الشيخ يوسف كان يقول ليس المقصود ترك الأسباب بل نأخذ الوقت الفراغ من كل مسلم، التشكيل يحتاج إلى بيئة المسجد وجدنا في السيرة أن النبي لتعليم الصحابة الأحكام ولمقتضيات الدعوة جمعهم في المسجد، لما فتح خيبر على يد علي بن ابي طالب وكان في عينيه رمد، طلبه في المسجد وأعطاه الراية والله فتح عليه، المقصود أن التشكيل وتكوين وتحويل الأذهان من الدنيا إلى الآخرة ومن الأسباب للأعمال ، هذا التحويل يحتاج إلى البيئة، وأقوى البيئة بيئة المسجد، الشيخ إلياس يقول الذي اجتهدتم عليه ومشيتموه خطوتين الله يأتي إليه هرولة.

كأن جعلنه في رحمة الله، فبكل الاهتمام نأتي بالناس إلى المسجد فالعمل مفتوح فى المساجد، والأماكن الذي المسجد غير مفتوح نأتي بهم في البيئة التي سويناها للأعمال ، لأن لكل بلد ظروف مخصوصة.

الشيخ إلياس رحمه الله): ما سميت هذا الجهد، ولو أردت أن أسميه لسميته جهد تحريك الإيمان، فلسنا جماعة.

في بلادكم اهتموا بالإيمان والبيان في توحيد الله عز وجل في أغلب الكلام لأن الأمة تعتقد أن الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهذا لا يكفي، بل المسلم أمر بتوحيد الله أن يبين وحدانيته بصفاته، العلماء قالوا في تفسير بعض الآيات أن العلم ليس مقصود بذاته، أن العلم مقصود للعمل، يعني بالعلم

ونتعلم طريقة العمل، الذي تعلم طريقة الصلاة يصلي لأنها تعلم طريقة الصلاة، والذي تعلم طريقة الزكاة يؤديها.

العلماء قالوا أن التوحيد مقصود بذاته المؤمن لا يستغني عن بيان علم التوحيد، لأن العلاقة مع الله بالتوحيد، في جميع الأعمال الإخلاص بقدر ما نوحد الله، الشيخ إلياس كان يقول: يأتي الرياء في الأعمال بضعف الأعمال.. لهذا التوحيد يبقي الإخلاص في الأعمال.

من لم يوحد الله يوميا فيحتسب بعمله غير الله.

ماذا نبين في تسديد الإيمان وتثبيته: نبين في قدرة الله، وقدرة الله بذاته، وموعود بوعده والأوامر ، ليست قدرته في الكون إنما قدرته في ذاته، الذي يرى قدرة الله في الكون يجعل الكون بينه وبين رب الكون للاستفادة من رب الكون، والكون يحول بينه وبين ربه.

فنحن بالاهتمام والجد، نقول بالقوة أن قدرة الله في ذاته ولا بد إخراج يقين ما سواه من القلب لنستفيد من قدرة الله.

الذي جعل الكون بينه وبين ربه لا يستفيد من قدرته، هذا الشرط انكار الكون للاستفادة من قدرته، كان الشيخ يوسف في جميع البيانات يكرر ذلك.

لأن جهدنا لإخراج اليقين الفاسد من قلوب المسلمين، ثم السبب الثاني: لإخراج اليقين الفاسد من قلوبنا وقلوب المسلمين أن نبين قصص الأنبياء والصحابة والتأييدات إلى يوم القيامة لتثبيت قلوب المسلمين كما كانت لتثبيت

قلب النبي (ﷺ)، مع أن مستوى يقينه وعلاقته بالله(ﷻ) ومستوى يقينه لا يصل إليه أحد، مع أنه أُمر مرارا وتكرارا في القرآن: اتل عليهم...، اتل عليهم.... لماذا تتلوا عليهم حتى لا تتأثر بتقلب بالكفار في البلدان والأمصار، بل عليك أن تتيقن بالنصرة كما نصر الأنبياء قبلك، يعني هذه القصص بيانها مطلوب وهذا هو السبب الأساسي لتقوية الإيمان.

وإلا نحن كلنا متأثرين بالأحوال الموجودة وإما بسببها نترك العمل، فالناس يقولون هذه التأييدات وهذه النصرة للأنبياء والصحابة وكأنه أساء ظنه بربه، والله عند ظن عبده به: أنا عند ظن عبدي بي، مستوى ظننا بالله مستوى الأنبياء والصحابة (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (١) ، هذا مستوى ظن المؤمن إلى يوم القيامة.

تعليم هذا المستوى بقصص الصحابة والأنبياء، لنبين الأحوال الموجودة ولا نتأثر بها ولا نبينها والظروف والأحوال الموجودة الحالية ، هذا العمل فوقها مثل السماء على الأرض، العمل يغطي هذه الأحوال تماما يعني الأحوال ليست بينه وبين ربه لا ، الداعي بين الأحوال وبين ربه، فالله أدرى بأحوالنا وأدرى بنياتنا (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (٢) { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (٣).

---

(١) سورة غافر _ الآية ٥١.

(٢) سورة الحجر _ الآية ٩٥.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

الأحوال على قسمين: أحوال بسببنا. وأحوال بسبب جهدنا.

أحوال بسبب معاصينا.. لو غيرت نفسك تتغير الأحوال، الأحوال التي بسببنا لا تنسب إلى العمل (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) (١).

أحبابنا الكرام بينت أمرين: قصص الأنبياء والتأييدات الغيبية للصحابة في مجالس الإيمان.

بعض الألفاظ لا يكرر بألفاظ معينة بل لتثبيت الإيمان في قلوبنا يعني لها قصص وهذا الباب وسيع بعض الناس ضيقوا كلام الإيمان بكلام معين ويرون أن الإيمان يتقوى به لا.

فلهذا بينت هذه الأربعة: بصفاته وقدرته، بقصص الأنبياء(كما كانت للأنبياء فنحنُ أحوج إليه منه) كلا نقص عليك من أنباء الرسل. ثم الأمر الرابع لتثبيت الإيمان نبين الإيمان بالصفات الإيمانية، أي نعلم الناس الإيمان بالصفات الإيمان، المؤمن الذي يلتزم الإيمان بالصفات الإيمانية فتربية المؤمن بالصفات الإيمانية، كما تربى الصحابة بإقامة الأعمال في المسجد كما جاء رجل وقال ما الإيمان : فَعَنْ أَبِي فِرَاسٍ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ ، قَالَ : نَادَى رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، " مَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ : الإِخْلاصُ " (٢) .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (ﷺ) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ): مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ: "

---

(١) سورة النساء الآية ٧٩.

٢) شعب الإيمان للبيهقي» الْخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ ... رقم الحديث: ٦٣٥٥).

إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ؛ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، فَمَا الْإِثْمُ ؟ قَالَ: " إِذَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعْهُ " رَوَاهُ أَحْمَدُ (١) والحاكم. (٢) .

إلحاق الجميع بمجالس الإيمان.. لا أنكر الكلام خارج ولكن مختصر ، كما كان الأذان خارج المسجد لأن الأذان للذي خارج المسجد الدعوة التامة خارج المسجد يعني الأسواق والبيوت والبيئة الفاسدة خارج المسجد كالذي جالس مع الحية، فنحب الذي نكلمه أن يأتي إلى المسجد إما نقدا أو بعد ذلك.

ندعوا الناس لبيوت الله لحل مشاكلهم، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهَّ (ﷺ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللهَّ ، فَدَعَا رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) فَمُطِرْنَا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ ، قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهَّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) : اللَّهُمَّ ظُهُورَ الْجِبَالِ وَالْآكَامِ وَبُطُونَ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتَ الشَّجَرِ . قَالَ : فَانْجَابَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ انْجِيَابَ الثَّوْبِ . (٣).

الشيخ يوسف كان يقول: بهذه القصص نوجه الناس لحل مشاكلهم بالمسجد.

---

١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» كتاب الإيمان٤٥.

٢) المستدرك على الصحيحين» كتاب البيوع» إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتكَ وَسَاءَتكَ سَيِّئَتكَ فأنت مُؤْمِنٌ _ رقم الحديث (٢٢١٧).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » باب الشين » شريك بن عبد الله بن أبي نمر الليثي » الحديث الأول جاء رجل إلى رسول الله فقال يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله(٤٥٠)، سنن أبي داود » كتاب الصلاة » جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها » باب رفع اليدين في الاستسقاء(١١٧٤).

فلهذا لما تحدث الحوادث في الكون كالكسوف والخسوف الأمة جمعت على العبادة مثل الاستسقاء.

فحل جميع مشاكل الأمة بالمسجد لأن الصحابة ليسوا لزمنهم بل أعمالهم مع الجهد إلى يوم القيامة.

والله أخطأنا الخطأ الكبير أنا جعلنا جميع فضائل الصحابة وفضائل حركتهم أن جعلناها وطبقناها على الجهاد، لأن حركة الصحابة مقصدها إقامة الدين بكماله، وهذه العوارض أحيانا تحدث وأحيانا لا تحدث، كثير من الغزوات ليس فيها قتال.

ما هي فضائل الخروج، وما هي فضائل المشي على الأقدام ، وفضائل المرض في سبيل الله، إلى يوم القيامة ، ولكن الذي يطبق فضائل الجهد على العارض الذي عرض على الجهد، ونترك العمل المستمر هذا غير صحيح.

كعب بن مالك تخلف عن غزوة تبوك وجاء عليه الشدة وعلى أصحابه بسبب ترك الخروج وكيف تعامل معه النبي والمسلمون:.... وَنَهَى رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللهَّ (ﷺ) فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ

النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَ اللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَقَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ . قَالَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا وَهَذَا أَيْضًا مِنْ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنْ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) يَأْتِينِي فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ فَقُلْتُ أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ قَالَ لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَالَ كَعْبٌ فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ قَالَ لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ قَالَتْ إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا .فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ

تَخْدُمَهُ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً ...إلخ. متفق عليه(١).

هذه القصص للاهتمام بالخروج في سبيل الله إلى يوم القيامة ، وأن تهتم الأمة بالخروج في سبيل الله كما اهتمت الصحابة.

فبدون قصص الصحابة في تأخرهم عن هذا العمل وفي تقدمهم للجهد هذه القصص ترجع الأمة لأصلها وتقوم الأمة بحق هذه الدعوة، وإلا نسأل لماذا نخرج على الأقدام إلى البلاد التي أحوالها شديدة،

ففضائل الخروج ليس لزمن الصحابة فمطلوب أن نحتسب كما احتسب الصحابة رضي الله عنهم .

فنعلم الناس بالصفات الإيمانية، حتى يشعروا بروح إيمانهم في علامات الإيمان.

ثم بينت لكم مع الصفة الأولى تعمير المسجد ننقل الناس لتعمير المسجد ، نكمل الثمانية أفراد، ونجتهد لتعمير المسجد ونحن شاهدنا المسجد الذي يقوم بهذا الترتيب يكون من أقوى المساجد ، لأن التشكيل يحتاج إلى البيئة، فالذي في البيوت وحوله المشاغل والأسباب والضيعات ويعتذر، لهذا نجمع الناس في المسجد ونشكل.

---

(١) صحيح البخاري» كتاب المغازي» باب حديث كعب بن مالك بَاب حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الذِينَ خلفُوا بَاب حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ (٤١٥٦)، صحيح مسلم» كتاب التوبة» بَاب حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ (٢٧٦٩)..

الشيخ يوسف كان يقول التشكيل يحتاج إلى البيئة الاجتماعية، فالفرد يقول قام فلان لأربعة اشهر وأنا أخرج معه.. فالتشكيل في المسجد أقوى.. والذي يعتذر نشكله في البيت.

فالذي يأتي المسجد نفهمه ونشكله، هكذا كان في مسجد النبي إلحاق الجدد مع القدماء.

ثم صفة الصلاة: الداعي مقصده من الدعوة إلى الصلاة إخراج اليقين من القلب على الأسباب المادية وإبقاء اليقين على أوامره عز وجل، والاستفادة من قدرة الله عز وجل رأسا، حتى نتيقن بها لحل مشاكلنا.. ونحن نحب أن لا يبقى المسلم غير مصلي ولكن الداعي يدعو الناس لإخراج يقين الأسباب في مقابلة الأعمال ويدعو الناس للصلاة لإخراج اليقين الفاسد، فنقول بالقوة أن قدرة الله بالوعد بالأعمال.. إذا امتثل وجاء وصلى فلنا الأجر.. ولا سمح الله إذا ما أنكر فالداعي يستفيد من دعوته ، فندعو الناس للصلاة بهذا اليقين، مهما يأتي أي شيء نصلى، فالمتيقن بالصلاة يقدمها على الأسباب، أما غير المتيقن بالصلاة يقدم الأسباب ولما ييأس يلجأ للصلاة.

اللهم وفقنا لجهد حبيبه على منهاج حبيبه حسب مرضاته.

تجديد الإيمان

النبي(ﷺ) اجتهد جهدا طويلا لإحياء الصفات المطلوبة في بني إسرائيل، ولكن كانت دعوته لفرعون مختصرة جدا، فجهد الدعوة لتركيز على الآخرة وتذكير الآخرين بالدين.

بالدعوة المختصرة ممكن تؤدي المسئولية، أما الدعوة للمسلمين يحتاج التضحية والتقدم والمثابرة وطول الوقت.

العلماء يقولون: أي عمل من الأعمال الدينية لا بد من جهد الدعوة حتى تأتي في الحياة.

الرجل الذي يريد أن يجتنب عن جميع معاصي الله لا بد أن يقوم بالجهد وبهذا الجهد يأتي عنده الاستعداد عن جميع ما نهى الله عنه يوفق للبعد عن معاصي الله تعال.

سواء عليهم ليس عليك، الذي يقوم بجهد الدعوة يستفيد لأن الله جزم(والذين جاهدوا فينا) ولكن استفادة الآخرين بالدعوة هذا بمشيئة الله.

الله بين في القرآن أن الأقوام الذيم أُجتهد عليهم استفادوا أو لم يستفيدوا كل ذلك بمشيئة الله

لا بد أن نفهم أن جهد الدعوة لأنفسنا لكمال ديني وإيماني، أما إيمان الآخرين ودين الآخرين بمشيئة الله

الدعوة تكون أولا في حياة الداعي لأن كمال الدين وكمال الإيمان موقوف بجهد الإيمان، وإرادة الله في حياة المدعو.

أحيانا الإنسان يتفكر لزيارة وزيارتين وجولة وجولتين أنه أدى المسئولية، والشيخ يوسف كان يقول: التبليغ لا يكون بتوصيل الصوت للآذان.

فليس ذلك أداء المسئولية، وكان يقول: لو تريد أن تدخل الدين في قلب المدعو لا بد أن تقيمه على جهد الدعوة.

والداعي إذا يظن أنه فوق المدعو وأدى المسئولية، فهو ما أدى المسئولية.

ولكن يجتهد على المدعو حتى يدخل الإيمان في قلبه.

لأن الرجل الذي يجتهد جهد الإيمان يزداد إيمانه ، الله يرزقه كمال الإيمان، وتتحسن عباداته وتتحسن معاملاته ومعاشراته وأخلاقه.

وإذا ظن أن الدعوة فقط لغيره فإذا قبل الدعوة يستمر يعجب بنفسه، أما إذا لم يقبل المدعو فيغضب لنفسه.

الذي يظن أن جهد الدعوة والتبليغ لغير المسلمين فهم خطأ، فالصحابة بقدر ما اجتهدوا على المشركين، اجتهدوا على المسلمين.

وبجهد الدعوة إلى الله يزيد يقين المؤمنين، وبجهد دعوة الأنبياء كمل إيمان الأمة.

الأنبياء بعثوا لجميع الناس المسلمين وغير المسلمين وبالجهد كملوا إيمانهم.

فالدعوة ليست لغيرنا بل لأنفسنا.

بالمجاهدة في جهد الدعوة يأتي الإيمان في حياتي وتأتي النورانية في حياتي وتتحسن معاملتي ومعاشرتي وأخلاقي ، فجهد الدعوة للإصلاح أنفسنا.

كما أن الأنبياء قاموا بالدعوة سواء قبل الأقوام الدعوة أم لم يقبلوا، فهم قائمين بالدعوة سواء قبلوا أم لم يقبلوا (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (١)،

ترك الدعوة خرجت السنة من حياة الأمة اجتماعيا، فهذه الكلمة دعوتها نصرة الأمة، الصحابة أحيوا بجهد الكلمة فيما بينهم لأنهم قالوا تعلمنا الإيمان قبل ، ولا يركز الإيمان في القلب إلا بالتعلم، ولتعلم الإيمان في حياة الصحابة الرسول أمرهم بتجديد الإيمان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:" جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ " . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا ؟ قَالَ:" أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " (٢)، هذه السنة خرجت من حياة الأمة، ليس المقصود بهذا الحديث ذكر لا إله إلا الله ، بل المقصود أن نتجول ونزور ونبين ونفهم الناس حقيقة لا إله إلا الله.

بالدعوة إلى الله من المساء إلى الصباح يزداد الإيمان.

الصحابة كانوا كل يوم يعرفون الناس بالله عز وجل، يقيمون مجالس الإيمان في الأسواق وفي كل مكان على مدار ٢٤ ساعة

نتكلم عن الغيب نتكلم عن الجنة والنار، حتى يأتي في قلوبنا الإيمان وفكر الإيمان الزراع والتجار يزداد إيمانهم وينجون من النار ، فمعاذ بن جبل وعبد

---

١) سورة العنكبوت _ الآية ٦.

٢) المستدرك على الصحيحين» كتاب التوبة والإنابة»جَدِّدُوا إِيمَانكمْ بِقولِ لا إِلهَ إِلا اللهُ (٧٧٣١).

الله بن رواحة رضي الله عنهما كانا يقولان للمسلمين: [هيا نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً] ولكن للأسف الشديد نظن أن الدعوة لغير المسلمين، بل الدعوة للمسلمين ولغير المسلمين.

لا بد أن يأتي فينا الفكر لتثبيت الإيمان في قلوبنا بالدعوة إلى الله، وعلى قدر ما نقيم مجالس الإيمان في كل مكان يحفظ الله ديننا وإيماننا.

اجتهدوا غاية الجهد وسعوا غاية السعي لتعلم الإيمان، فكيف يحي الإيمان

الصحابة اجتهدوا يوميا لتجديد الإيمان في قلوبهم، ودعوة الناس إلى لا إله إلا الله وهو جهد الكلمة.

فكما أن الإيمان مفروض على مسلم ، بأن يستقيم على الإيمان يحتاج لجهد الإيمان، في كل مكان، فإذا ترك جهد الإيمان يتغير فكره ودماغه أن الأشياء تفعل فيتأثر قلبه بهذا الفكر.

كانوا يتكلمون بما هو كائن في الغيب ، كانوا يتكلمون كلام الإيمان في كل مكان.

لما نتكلم حول غير الله فتتأثر القلوب، فيأتي في الفكر وينطق اللسان أن قضاء الحوائج من غير الله.

فنقوم بالدعوة بأسلوب الصحابة بتجديد الإيمان بجهد الإيمان، نتكلم حول الغيب، نتكلم عن الجنة **والنار**، فبهذا الكلام يأتي في قلوبنا الإيمان وفكر الإيمان

ونجعل الصحابة أمامنا في جهد الإيمان وتجديد الإيمان (آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ) (١)، الله قال: [فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا] (٢).

فالصحابة قاموا بجهد الإيمان فجعلهم الله أسوة لمن جاء بعدهم في تجديد الإيمان وجهد الإيمان.

كم نحتاج لجهد الإيمان ، الصحابة الذين كان الإيمان في قلوبهم أشد من الجبال أُمروا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا) (٣)، وهناك الأمر لجهد الإيمان حتى يترقى الإيمان الحقيقي في قلوبهم.

العبادات لا تؤدى على الطريق الصحيح إلا بالإيمان على الغيب ، فإذا ضعف الإيمان على الغيب فتضعف الصلاة وتؤدى على النهج الغير الصحيح.

لا بد من تصديق المغيبات وتكذيب المشاهدات، لأن إيمان الغيب هو الأصل.

بقدر ما نجتهد تأتي حقيقة العبادة في حياتنا، لما يكون اليقين بأخبار الغيب لا نبالي بأحوال الدنيا سواء إقبالها أو إدبارها.. وإذا نتيقن على الدكان نقدم جهد الدكان، ولكن ما قال الله وقال رسوله لو نتيقن عليه فنقدمه على ما سواه.

لو لم يكن جهد الإيمان في كل مكان فنتأثر بالمشاهد.

فالخبر الذي أخبر به الرسول (ﷺ) فهو كائن في اليقين فلا بد أن نتيقن عليه.



---

١) سورة البقرة _ الآية ١٣.

٢) سورة البقرة _ الآية ١٣٧.

٣) سورة النساء _ الآية ١٣٦.

الصلاة

نحن نتجول لإكمال الإيمان ولإكمال العبادات في حياتنا، وكلما ندعو الناس للإيمان وللعبادات تأتي حقيقة الإيمان وحقيقة العبادات في حياتنا. فأي صفة تريد أن تحييها في حياتك فبجهد الدعوة تحصل عليها.. وهكذا لإقامة الصلاة في حياتنا ندعو إلى الصلاة.

وإقامة الصلاة معناه إصلاح الصلاة أي نجتهد في صلاتنا ونرتقي بها، هذا من الناحية الفردية. . وأما من الناحية الاجتماعية فمعنى إقامة الصلاة هو إشاعتها ونشرها حتى لا يبقى فرد في المجتمع لا يصلي.

قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي " (١) فهكذا نصلح ظاهر الصلاة على ترتيبها من قيام وركوع وسجود وكذلك نصلح باطنها فعلى قدر إصلاحنا للصلاة تصلح بقية الأوامر في الحياة فلا أصلي بالغفلة، قالبا حاضر في الصلاة وقلبا خارج الصلاة، ولكن أصلي وأنا أستحضر

---

١) رواه البخاري _ كتاب أخبار الآحاد _ برقم (٦٨١٩) ونصه: حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ حَدَّثَنا مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ قَالَ أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً وَكَانَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفِيقًا فلمَّا ظَنَّ أنا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخبَرْنَاهُ قَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلوا كمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلي فَإِذا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكبَرُكُمْ.

في كل ركن بأن الله يراني ويرى ما في قلبي وأستحضر عظمته تعالى.

عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، " أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي فَطَفَّفَ ، فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ : مُنْذُ كَمْ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ ؟ قَالَ : مُنْذُ أَرْبَعِينَ عَامًا ، قَالَ : مَا صَلَّيْتَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَوْ مِتَّ وَأَنْتَ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ ، لَمِتَّ عَلَى غَيْرِ فِطْرَةِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُخَفِّفُ وَيُتِمُّ وَيُحْسِنُ "(١) .

وكذلك أربط جميع ما أحتاجه من الدنيا أربطه في صلاتي كما يربط أهل الدنيا دنياهم بالأسباب فعَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلاةِ "(٢) . . فنحن نصلي ونزيد في صلاتنا حتى تحل مسألتنا ولو استوجب الأمر مائة أو مئتا ركعة.



١) سنن النسائي الصغرى» كِتاب السَّهْوِ» بَاب تطفِيفِ الصَّلاةِ _ رقم الحديث: ١٢٩٦.

٢) معجم الصحابة لابن قانع(١٤٤٢)، وفي سنن أبي داود» كتاب الصلاة» أبواب قيام الليل» باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل_ برقم ()١٣١٩عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كَانَ النبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى.

التَرغِيب

في الإكرام وحسن الخلق

أكبر دعوة إلى الله عز وجل هي الإكرام.. ففي حال سفركم في القطار مسؤول الجماعة سيقول لكم الجماعة عشرة أشخاص أحضروا عشرة أكواب من الشاي .توبة . توبة . هكذا قال الشيخ سعد مستغفرا . ثم قال: هذه جماعة البخلاء . . كان الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى ـ رحمه الله ـ يقول للدعاة : أنتم تتحركون لنشر الإسلام، والإسلام انتشر بالإكرام، فأكثروا من الإنفاق في هذا السبيل.

سيقول لكم أصحاب التشكيل وجهتكم هي القرية الفلانية وستكفيكم خمسمائة روبية نفقة

. لكن أنتم قولوا لهم : لا ، نحن ذاهبون في سبيل الله وسنأخذ نفقة أكبر وسنكرم الجميع وسنطعم الجميع ونسقيهم.

هذا كان كلام الشيخ محمد إلياس ـ رحمه الله ـ وقال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الكفار إلى الإسلام وأنفق عليهم الكثير ، فقد أعطى أحد المشركين ملئ واد من الأنعام .حين رآه ينظر إليها متأثرا من كثرتها .فأسلم المشرك فورا في مقامه ذلك . ومن شدة تأثره بهذا العطاء خرج من قلبه حب المال .والرسول صلى الله عليه وسلم ولا يعلم هل يسلم بعد ذلك أم لا ؟..

وإليكم قصته: عَنْ عَبْد اللهَّ بْن الزُّبَيْر ، قَالَ : لَمَّا كَانَتْ يَوْمَ الْفَتْح أَسْلَمَت امْرَأَةُ صَفْوَانَ بْن أُمَيَّةَ الْبَغُومُ بِنْتُ الْمُعَذَّل ، منْ كنَانَةَ ، وَأَمَّا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فَهَرَبَ حَتَّى أَتَى الشُّعَيْبَةَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ لغُلامه يَسَار وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ : وَيْحَكَ انْظُرْ مَنْ تَرَى ؟ قَالَ : هَذَا عُمَيْرُ بْنُ وَهْب ، قَالَ صَفْوَانُ : مَا أَصْنَعُ بِعُمَيْر ، وَاللهَّ مَا جَاءَ إلا يُرِيدُ قَتْلِي ، قَدْ ظَاهَرَ مُحَمَّدًا عَلَيَّ ، فَلَحقَهُ ، فَقَالَ : يَا عُمَيْرُ ، مَا كَفَاكَ مَا صَنَعْتَ بِي ؟ حَمَّلْتَني دينَكَ وَعيَالَكَ ، ثُمَّ جِئْتَ تُرِيدُ قَتْلِي ، قَالَ : أَبَا وَهْب قَدْ جُعلْتُ فدَاكَ ، جِئْتُكَ منْ عنْد أَبَرِّ النَّاس وَأَوْصَل النَّاس ، وَقَدْ كَانَ عُمَيْرٌ قَالَ لرَسُول اللهَّ (ﷺ): سَيِّدُ قَوْمي خَرَجَ هَارِبًا ليَقْذفَ نَفْسَهُ في الْبَحْر ، وَخَافَ أَلا تُؤَمِّنَهُ فَأَمِّنْهُ ، فدَاكَ أَبي وَأُمِّي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) : " قَدْ أَمَّنْتُهُ " ، فَخَرَجَ في أَثَره ، فَقَالَ : إنَّ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ) قَدْ أَمَّنَكَ ، فَقَالَ صَفْوَانُ : لا وَاللهَّ لا أَرْجعُ مَعَكَ حَتَّى تَأْتيَني بعَلامَة أَعْرفُهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ): " خُذْ عمَامَتي " ، قَالَ : فَرَجَعَ عُمَيْرٌ إلَيْه بهَا وَهُوَ الْبُرْدُ الَّذي دَخَلَ فيه رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) يَوْمَئذ مُعْتَجرًا به ، بُرْدُ حبرَة ، فَخَرَجَ عُمَيْرٌ في طَلَبه الثَّانيَةَ ، حَتَّى جَاءَهُ بالْبُرْد ، فَقَالَ : أَبَا وَهْب ، جِئْتُكَ منْ عنْد خَيْر النَّاس ، وَأَوْصَل النَّاس ، وَأَبَرِّ النَّاس ، وَأَحْلَم النَّاس ، مَجْدُهُ مَجْدُكَ ، وَعزُّهُ عزُّكَ ، وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ ، ابْنُ أُمِّكَ وَأَبيكَ ، أُذَكِّرُكَ اللهَّ في نَفْسكَ . قَالَ لَهُ : أَخَافُ أَنْ أُقْتَلَ ، قَالَ : دَعَاكَ إلَى أَنْ تَدْخُلَ في الإسْلام ، فَإنْ رَضيتَ وَإلا سَيَّرَكَ شَهْرَيْن ، فَهُوَ أَوْفَى النَّاس وَأَبَرُّهُمْ ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ ببُرْده الَّذي دَخَلَ به مُتَعجرًا تَعْرفُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَخْرَجَهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ هُوَ ، فَرَجَعَ

صَفْوَانُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللهَّ (ﷺ) ، وَرَسُولُ اللهَّ (ﷺ) يُصَلِّي بِالْمُسْلِمِينَ الْعَصْرَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَوَقَفَا ، فَقَالَ : كَمْ يُصَلُّونَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ قَالَ: خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، قَالَ : يُصَلِّي بِهِمْ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا سَلَّمَ صَاحَ صَفْوَانُ: يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ جَاءَنِي بِبُرْدِكَ ، وَزَعَمَ أَنَّكَ دَعَوْتَنِي إِلَى الْقُدُومِ عَلَيْكَ ، فَإِنْ رَضِيتُ أَمْرًا وَإِلا سَيَّرْتَنِي شَهْرَيْنِ، قَالَ: " انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ " ، قَالَ : لا وَاللهَّ حَتَّى تُبِينَ لِي ، قَالَ : " بَلْ لَكَ تَسْيِيرُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ " ، فَنَزَلَ صَفْوَانُ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) قِبَلَ هَوَازِنَ ، وَخَرَجَ مَعَهُ صَفْوَانُ وَهُوَ كَافِرٌ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَعِيرُهُ سِلاحَهُ ، فَأَعَارَهُ سِلاحَهُ مِائَةَ دِرْعٍ بِأَدَاتِهَا ، فَقَالَ صَفْوَانُ : طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) : " عَارِيَةٌ مُؤَدَّاةٌ " ، فَأَعَارَهُ ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) ، فَحَمَلَهَا إِلَى حُنَيْنٍ ، فَشَهِدَ حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) إِلَى الْجِعْرَانَةِ ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) يَسِيرُ فِي الْغَنَائِمِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَمَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، فَجَعَلَ صَفْوَانُ يَنْظُرُ إِلَى شِعْبٍ مُلِئَ نَعَمًا وَشَاءً وَرِعَاءً ، فَأَدَامَ إِلَيْهِ النَّظَرَ ، وَرَسُولُ اللهَّ (ﷺ) يَرْمُقُهُ ، فَقَالَ : " أَبَا وَهْبٍ ، يُعْجِبُكَ هَذَا الشِّعْبُ ؟ " قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : " هُوَ لَكَ وَمَا فِيهِ " ، فَقَالَ صَفْوَانُ عِنْدَ ذَلِكَ : مَا طَابَتْ نَفْسُ أَحَدٍ بِمِثْلِ هَذَا إِلا نَفْسُ نَبِيٍّ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُّ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ. (١).

---

١) تاريخ دمشق لابن عساكر» حرف الصاد» ذكر من اسمه صَفوَان» صَفوَانُ بْنُ أُمَيَّة بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ ...رقم الحديث:(٢٣٦٣٢).

لذلك قلت لكم أكثروا الإنفاق في هذا السبيل بالشوق والرغبة على الآخرين .

لأن الإنفاق في سبيل الله في حد ذاته عمل .. قل للمسؤول أطلب الشاي والتذاكر للجميع وأنا سأدفع المطلوب .

وسيتواجد معكم في القطارات والباصات أشخاص من الأغيار (١) أكرموهم أيضا . و التقوا بهم أيضا، وتكلموا كثيراً فيما بينكم عن عظمة الله جل جلاله .. وسيسمعون هم أيضا عن عظمة الله وعظمة صفاته وعظمة قدرته . عرفوهم أيضا بالله جل جلاله.

hنظروا أيها الأصدقاء الأعزاء أن الكلام واضح و جلي .وهو أننا ندعو إلى الله جل جلاله.

نحن لا ندعو إلى طريقة خاصة . .أو جماعة خاصة أو إلى شخص خاص. ولا ندعو أحدا للانضمام إلى أهل الدعوة والتبليغ ، ولكن نحن ندعو إلى الله جل جلاله ، فقط، لأن هذه هي طريق بناء الأمة .. فكن فردا من الأمة وادع إلى الله جل جلاله .

ولا يوجد شيء اسمه تبليغي حتي الشيخ العلامة الإمام محمد إلياس الكاندهلوي ــ رحمه الله ــ لم ينشئ حزبا أو جماعة اسمها الدعوة والتبليغ ، إنما هذه التسمية أطلقها شانئي الدعوة إلى الله لتشويه صورة الدعاة إلى الله ، وكانت

---

١) يقصد غير المسلمين.

دعوه الشيخ هي نفس دعوه السلف لم يأتي بجديد، بل دعا للتوحيد وهدم الشرك.

ووصفوا الدعاة كتبليغي وصوفي عصري وغير ذلك من الأوصاف، لينفروا الناس من دعوتهم التي هي دعوه السلف الصالح.

أطلقوا هذه التسمية لكي يفرقوا دينهم ويتميزوا عن غيرهم ، بل يقول البعض نحن أفضل منهم نحن من جماعه كذا وكذا ونحن كذا ولا يعلمون بأن الله نزل آية بحق هذه الأمة:(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (١) فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق .



١) سورة الأنعام _ الآية ١٥٩.

الخاتمة

نحمد الله سبحانه وتعالى على أن وفقنا لنقل كلام العالم المحقق المبجل سعد هارون حفيد الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي.

والذي أصل فيه أصول جهد الدعوة والتبليغ مستمد كلامه من الكتاب والسنة وحياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

فإذا تحركنا في الدعوة مع الالتزام بأصولها، تثمر في حياتنا الهداية، وفي حياة من نصحبهم، ومن نتحرك عليهم وندعوهم إلى الله.

وبالأصول يُصبح الداعي مثل الكحل في عيون الناس.

وبالأصول يُصبح الداعي له قبولية عند الله وعند الناس.

والحكمة هي أصل الأصول{ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ }(١).

ومن عوامل الثبات في الجهد أن نمشي في الدعوة بأصولها:{ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا }(٢)

بحمد الله

١) سورة النحل _ الآية ١٢٤.

٢) سورة النساء _ الآية ٦٦.

محتويات الكتاب

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٤
٣	الدعوة إلى الله	١٤
٤	مقصد الجهد لدين الله	١٨
٥	آداب وأصول يجب أن يتحلى بها الدعاة إلى الله	٢٤
٦	الصفات الست التي كان يتحلى بها الصحابة الكرام	٦١
٧	التوسع والترسخ (في الدعوة إلى الله)	٩٠
٨	مذاكرة في أصول الدعوة	٩٦
٩	علاج الفتن.....	١٠٦
١٠	عمارة المسجد بالأعمال	١٠٨

١١	تجديد الإيمان	١٢٢
١٢	الصلاة	١٢٧
١٣	الترغيب الإكرام وحسن الخلق	١٢٩
١٢	الخاتمة	١٣٤
١٣	المحتويات	١٣٥

محفوظة جميع الحقوق